وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسل:.....

مذكّرة تَخَرُّج لِنَيْلِ شَهَادة المَاستر.

الميدان: لغة وأدب عربي.
الفرع: أدب عربي.
التخصّص: أدب والاتصال.

العنـــــوان

خطاب التمرد في رواية "الممنوعة " لمليكة مقدم.

. إعداد الطالبتين:

- صليحة حمداش
- ججيقة عيمار.

. إشراف:

الأستاذة: د. نورة بعيو.

لجنة المناقشة:

د. نبيلة زويش	أستاذة محاضرة صنف "أ"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيسًا.
د. نورة بعيو	أستاذة التعليم العالي	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفًا ومقرّرًا.
د. أوريدة عبود.	أستاذة محاضرة صنف "أ"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	ممتحنًا.

الدفعة الثالثة، جوان 2016

إهداء

إلى من وهبت لي نبع الحنان التي ربتني وسهرت الليالي أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

يا من أحمل اسمك بكل فخر، يا من افتقدتك منذ الصغر، يا من أودعتني لله، أهديك هذا البحث أبي رحمه الله.

إلى أخواتي اللواتي أحبهن: حورية، سميرة، حسيبة، وأزواجهن.

إلى حكيمة ونادية.

إلى أخي سمير وزوجته.

إلى البراعم الصغيرة، أولاد أخواتي.

إلى صديقاتي العزيزات: ليندة، لبنى، سامية، ويزة، ججيقة.

إلى من أسهم في إنجاز هذا العمل: صديقتي الوفية " ججيقة ".

إلى أستاذتي الفاضلة " الدكتورة نورة بعيو" رزقها الله حسن الخاتمة.

صليحة حماداش

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أمي التي حملتني وهنا على وهن، ومنحتني ثقتها وزرعت في ذاتي العلم، أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى الذي عمل وجد حتى وصلت إلى هدفي والدي العزيز.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى صديقاتي الحبيبات: ليندة، لبنى، سامية، ويزة، صبيرنة، ديهية.

إلى من أسهم في إنجاز هذا العمل: صديقتي الوفية " صليحة".

إلى أستاذتي الفاضلة " الدكتورة نورة بعيو" التي أفادتنا بنصائحها. وتوجيهاتها، وعلى كل ما قدمته لنا من جهد رزقها الله حسن الخاتمة.

ججيقة عيمار

مقدمة:

لطالما كانت المرأة منذ أمد بعيد مهمشة، عكس الرجل الذي احتل المركز دائما، فصوته مسموع، بينما صوت المرأة صمت لقرون طويلة مما دفع المرأة وخاصة المبدعة إلى تجاوز هذا التصميت الممارس عليها، واتخاذها بذلك الكتابة وسيلة لمواجهة قهر السلطة الذكورية عليها، كما تعتبر الكتابة أداة تنقذها من العبودية وهي نوع من الخلاص ومن سيطرة الرجل والتنفيس عن مكبوتاتها.

وعلى هذا جاءت التجربة الإبداعية عند المرأة عموما وعند " مليكة مقدم " على وجه الخصوص لتنادي بتحرير المرأة لتؤكد بأنّ قمع المرأة يجب أن يزول، ولهذا السبب نجد أن معظم كتابات الروائية " مليكة مقدم" يطغى عليها هاجس التمرد، وخاصة في رواية " الممنوعة " مما جعلها كاتبة تمرد بامتياز.

وقد عمدنا في البحث إلى اختيار موضوع: " خطاب التمرد عند مليكة مقدم – رواية الممنوعة أنموذجا" نظرا لأهمية هذا الموضوع دون غيره، ذلك لأنه يعتبر علامة فارقة فهو يشكل مغامرة حقيقية ذات أبعاد ودلالات عميقة، نابعة من صرخة أنثى مجروحة من سيطرة الآخر/ الرجل.

يطرح هذا الموضوع إشكاليات متعددة تدور كلّها حول المرأة وتهميشها من قبل الآخر من مثل:

كيف عالجت مليكة مقدم في " الممنوعة" مسألة اضطهاد المرأة من طرف الرجل والمجتمع؟.

-وما هي الوسائل التي اتخذتها لتجاوز هذا الواقع؟.

-وما هي أشكال التمرد التي اتبعتها؟ دون أية اعتبارات لسخط المجتمع؟.

-وقد اتبعنا من أجل الإجابة عن هذه الإشكاليات بعض أليات النقد الثقافي والاتجاه التأويلي فهي المناسبة لدراسة مثل هذه الموضوعات، وتحليل قصة الرواية والتعقيب عليها.

-وعليه فقد حاولنا التركيز على هاجس التمرد الذي هيمن على الرواية، فيها تتحدى المجتمع بنبرة حادة، وتحاول التخلص من سيطرة الرجل الذي سلب حقوقها وحريتها، فقد تناولت الكاتبة كل هذه المسائل بكثير من الحرية والصراحة، فلم تكترث لنظرة الآخر لها، بل أكثر من ذلك قامت بالتحدي وتعرية الواقع وفضح الممارسات اللا أخلاقية ضد المرأة التي انتشرت على كافة الأصعدة

والمجالات وبالتالي أعلنت تمردها على هذا الوضع قصد إثبات ذاتها الأنثوية وصوتها المستقل كعضو فعال في المجتمع في مختلف الميادين.

تشكل هذا البحث من مقدمة، ومدخل، وفصلين وخاتمة، حيث تناول الفصل الأول الموسوم بـ: " **تشكل الخطاب الأنثوي في رواية الممنوعة**"، إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول المعنون ب: **خطاب الذات** والذي بينا فيه ما معنى خطاب الذات الأنثوي؟ وكيف عرفه المفكرون؟.

أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى: " **إثبات الذات**" وذلك من خلال التركيز على الوسائل التي اتخذتها الكاتبة لإثبات ذاتها الأنثوية في مجتمع ذكوري بالدرجة الأولى .

أما المبحث الثالث المعنون ب: **مواجهة الهيمنة الذكورية**، وفيه توقفنا عند تحديد أشكال الهيمنة الذكورية، وكيف واجهتها المرأة؟ وتتطرقنا فيه أيضا إلى ذكر مختلف أشكال **التصميت الممارسة على المرأة**، حيث تناولنا فيه مفهوم الصمت لغة واصطلاحا، بالإضافة إلى إظهار أنواع التصميت الموجودة في الرواية ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني الموسوم بـ: " **خطاب التحرر في رواية الممنوعة**" حيث تطرقنا فيه إلى الحديث عن مسألة حرية المرأة وكيف نظر إليها المفكرون؟.

وما هي الوسائل التي انتهجها هؤلاء أثناء دعوتهم لتحرير المرأة؟.

يشكل هذا الفصل من مبحث أول المعنون باسم: " **سبل تحرير المرأة من الهيمنة الذكورية**" الذي تناولنا فيه تحديد الوسائل والطرق التي اتخذتها " مليكة مقدم" في روايتها " الممنوعة" للتحرر من تبعية وهيمنة الآخر.

أما المبحث الثاني المعنون بـ " **تمرد الذات على النسق الثقافي والاجتماعي** " أين تطرقنا فيه إلى تعريف التمرد لغة واصطلاحا، وإلى ذكر أشكال التمرد الموجودة في الرواية. أما المبحث الثالث الموسوم ب " **التمرد على السنن المؤسساتي**" حيث حللنا بعض أشكال التمرد في المؤسسات الدينية والقانونية ومؤسسة الزواج بالإضافة إلى المؤسسات الإدارية (أماكن العمل).

ورجعنا في تحليلنا لمختلف المباحث إلى مجموعة من المراجع نذكر منها: " سرد الجسد وغواية اللغة" لـ " الأخضر بن السايح" و" شرق وغرب رجولة وأنوثة " لـ " جورج طرابيشي " و" الآخر في الرواية النسوية العربية " لـ نهال مهيدات و" المرأة واللغة " لـ عبد الله الغذامي.

واجهتنا بعض الصعوبات تتلخص في كون أدب المرأة لم يكن محل اهتمام النقاد والمؤلفين، خاصة في مثل هذه الموضوعات التي تحمل في طياتها هاجس التمرد الأنثوي، بالإضافة إلى هذا قلة الوقت المعطى لإنجاز المذكرة.

وفي الأخير تتوجه بجزيل الشكر الخاص وفائق التقدير وأسمى معاني العرفان تكليلا لجهود الأستاذة المشرفة د." نورة بعيو " على نصائحها الصائبة وعلى صبرها، كما أشكر اللجنة المناقشة على تحملها عناء قراءة هذه المذكرة.

لقد كان الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري بشكل عام وواقع المرأة بشكل خاص المرجعية الأساسية التي أسهمت بشكل فعال في بروز الأدب النسوي بالإضافة إلى أن وعي المرأة الجزائرية كان سابقا لمرحلة الاستقلال، إذ أن الاستعمار الفرنسي كان له أثر ودور في زعزعة وعي المرأة، وخلخلة المفاهيم التي تبنتها عن ذاتها وعن الرجل، ومكانتها في المجتمع بوجه عام، فقد تمكنت المرأة المبدعة من تجاوز تاريخ طويل من المعاناة والإقصاء بحكم الأوضاع الاجتماعية والعادات التي كبلت صوتها طويلا، وعزلتها عن مدارات الفكر والأدب، فهذه الظروف دفعت بالمرأة إلى الولوج في عالم الكتابة، حيث أعلنت من خلالها على رفضها للواقع، وبالمقابل تمردت على الأعراف والعادات والتقاليد، والقيم الاجتماعية والسياسية، والقيم الثقافية الذكورية.[1]

تتميز الكتابة النسوية بملامح عديدة، وهذا ما يفرز عدة إشكالات يخلص للحديث عن مفهوم السرد الأنثوي، وهو مصطلح إشكالي إن صح التعبير، لأنه تارة تسمع بمصطلح السرد النسوي وتارة أخرى بمصطلح السرد النسائي، لكن الإشكال يكمن في الكتابة عند المرأة بشكل عام.

" يطلق مصطلح السرد النسائي على الكتابة التي تلجأ فيها المرأة الأنثى إلى أساليب أدبية وجمالية محضة، أما مصطلح السرد النسوي فهو الكتابة التي تلجأ فيها المرأة إلى توظيف النص السردي كأداة للاحتجاج على أوضاعها الاجتماعية والأسرية والتعليمية والسياسية، وعلى أوضاع المرأة عموما داخل المجتمع الذكوري".[2]

وبالإضافة إلى هذا فالسرد النسوي يختلف من مبدعة لأخرى، وذلك باختلاف اللغات والمرجعيات الفكرية: " ويكون هذا السرد وفق تعدد لغوي وإيديولوجي وفكري".[3]

فبعدما كان السرد إلى وقت طويل حكرا على الرجل دون المرأة التي همشها من كل الجوانب، إلا أن جاءت المرأة وعانقت الكتابة واخترقت لغة الآخر/ الرجل، وهذا ما أدى إلى ظهور عدة أنواع من السردي النسوي، من بينها "التذاكر والتداعي": وهو الذي "يعكس السرد المنطلق من

---

[1] – ينظر: خديجة حامي، السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل روايات فضيلة الفاروق أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013، ص 116.

[2] – منير شعبان، المنظور الإيديولوجي في الرواية النسوية، أعمال الملتقى الوطني الرواية النسائية في الجزائر، إشراف: نورة بعيو، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، 2013، ص 217.

[3] – المرجع نفسه، ص 37.

تخوم الذاكرة على طبيعة النسوية، بحيث نجد ذلك الميل الأصيل إلى المنزع الذاتي المحرك لفعل السرد الداخلي المكثف، فيهون وشيحة التواصل مع العالم الخارجي الذي يحده الزمن الحاضر (زمن السرد) بسبب نزعة الالتفاف حول الذات والاعتماد على التذكر".[1]

إن طبيعة الكتابة النسوية تقوم على عاملين أساسين وهما" السرد الذاتي والاعتماد على التذكر".

أما النوع الآخر من السرد النسوي الذي يتأرجح بين البوح الذاتي والوصف الإخباري، فالمرأة في هذا النوع من السرد تشغل موقع الفاعل، " مرة تكون هي الساردة والمتلفظ والشخصية الفاعلة المرتبطة بالأحداث بطريقة مباشرة وعلنية مرة أخرى، وقد يتحول البحث إلى مونولوج داخلي تدفع به الساردة عبر الشحن العاطفية التي تعيشها".[2]

أما النوع الثالث من السرد النسوي الذي يقوم على الكتابة الابلاغية (الإخبارية) والكتابة البلاغية (الإشارية): " فالنص الروائي النسوي كغيره من الأشكال الروائية، يختلط فيها الواقع بالخيال، بحيث يكون وعاء لمختلف الأفكار والتصورات، وقد تتحول الصورة الواقعية والمشاهد الحسية إلى إشارات ورموز".[3]

وبالإضافة إلى هذا نتوصل إلى القول بان علاقة المرأة بالكتابة هي علاقة متينة، حيث عبرت من خلالها على ذاتها الأنثوية وعن مطالبها المختلفة، وهذا ما يبرز غنى الساحة الأدبية بظهور عدة أسماء نسائية مبدعة في مراحل مختلفة، فالبدايات الأولى لهذا الجنس الأدبي الخاص بالمرأة يعود إلى روائيات كتبت أعمالهن باللغة الفرنسية، ومن بينهن نذكر الروائية " طاوس عمروش " برواية " الزئبقة السوداء (jaunthe noire) " التي صدرت الطبعة الأولى في 1947 تحت اسم " ماري لويز عمروش"، أما الطبعة الثانية فصدرت في 1957، ثم تلتها رواية " حي الطبالين" (rue des tambourins) " عام 1960، ثم رواية " العاشق الوهمي " (l'amant imaginaire) عام 1975، ثم رواية " الوحدة أمّاه" (solitude ma mere) عام 1976.

[1] – الأخضر بن السايح، سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011، ص 153.

[2] – المرجع نفسه، ص 157.

[3] – نفسه، ص 162.

كما نجد الأم " فاطمة أيت منصور "، فهي صاحبة أول سيرة ذاتية جزائرية وهي " قصة حياتي" (histoire de ma vie) المكتوبة عام 1946، ولكنها لم تنشر إلا في عام 1968 أي بعد وفاتها بسنة، وبالإضافة إلى " جميلة دباش " التي كتبت كل من " ليلى فتاة الجزائر (leila jeune fille d'algérie) عام 1949، وروايتها الثانية " عزيزة" (aziza) عام 1957.

وبالإضافة إلى هذه الأسماء، نجد كذلك اسم الروائية المبدعة " أسيا جار " مايسة باي "

كما جاءت أيضا " ذاكرة الجسد " لـ " أحلام مستغانمي " في عز الأزمة الجزائرية سنة 1993، ورواية " لونجة والغول " لـ " زهور ونيسي " في السنة نفسها، لتكون أول روايتين نسائيتين جزائريتين باللغة العربية، فتوالت الروايات النسائية في الجزائر بالنسبة لتلك المكتوبة بالعربية، بعد " أحلام" بظهور أسماء لروائيات جديدة مثل " زهرة ديك "، فضيلة الفاروق " التي لها إسهامات كثيرة في مجال الرواية، إلى ياسمينة صالح" " أنعام بيوض" .

إن كل هذه الأسماء أنجبت عدة أعمال إبداعية التي تميزت بعدة خصوصيات تختلف من مبدعة إلى أخرى، حيث اختلفت آراء المبدعين والنقاد من الرجال والنساء حول خصوصية الإبداع النسوي حيث تتضارب وجهات النظر من مؤكد على أن الكتابة النسائية تحمل سمات خاصة بها من حيث الاحتفاء بالتيمات الأنثوية فما هي هذه الخصائص؟.

أولا: فقد جاءت أغلب التجارب الإبداعية للمرأة في الجزائر عموما تنادي بتحرير المرأة من قيود المجتمع، وأن تكون متساوية مع الرّجل، وتأكد بأن قمع المرأة هو اجتماعي في أساسه، فقد تمكنت المرأة من تجاوز سلطة الآخر بعدما كانت مهمشة في جميع المجالات، وفي هذا الصدد يقول "نصر حامد أبو زيد": " بأن التحرر المرأة المتمثل في ممارستها لحقوقها الطبيعية والإنسانية لا يفارق تحرر الرجل المتمثل في قدرته ع لى ممارسة حقه الطبيعي ع لى جميع المستويات والأصعدة المختلفة كافة".[1]

كما دافعت المرأة المبدعة عن كينونتها الإبداعية فهي صرخة مجروحة هي من أهم الصرخات التي أطلقتها المرأة المبدعة في العصر الحديث معلنة حزنها وغضبها في آن واحد، ومنددة بالقمع والقهر والتسلط الذي تتلقاه من الآخر، فلقد بقي السرد إلى وقت طويل حكرا على

[1] – نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص 87.

الرجل حيث يراه المختصون هو إعادة بناء العالم، فالسرد عند المرأة هو مجرد بؤرة من الأحاسيس و المشاعر و الفرق بينهما شاسع، فالأول أي الرجل يكتب بعقله.

أما الثاني أي السرد النسوي هو إطار يسمح للمرأة المبدعة بالتعبير عن همومها الشخصية وعن الهم الجمعي للوطن، فهي الأقدر على التعبير عن ذاتها كانسان، وأن ترسم معالمها الأنثوية وأن تحملها بلغة الكشف والبوح، أما عن السمات الدقيقة للإبداع الأدبي عند المرأة، فهي تشمل على نسبة كبيرة من العاطفة والخيال .

وكما حاولت المرآة تعرية وفضح كل الممارسات اللا أخلاقية ضد المرأة التي انتشرت على كافة الأصعدة من قمة الهرم الاجتماعي إلى قاعدته، ولهذا طرحت المرأة مختلف قضاياها في أعمال إبداعية التي تجاوزت من خلالها الأعراف الاجتماعية التي فرضها الرجل.

تكتب المرأة لتقول للآخرين بأنها ليست مجرد جسد أنثوي يُشتهى، وإنما إنسان يعي ويفكر، له رأيه في الحياة ووجهة نظر في كل ما يحدث بعدما كانت مهمشة من قبل الآخر حيث " تقول" نهال مهيدات": " لعل الترابية الطبقية بوصف الذكر أعلى مرتبة من الأنثى، يحسب على أشكال القمع التي يمارسها الزوج/ الرجل في العلاقات الجنسية، بحيث يمنح نفسه الحق في ممارسته ما يريد وبالكيفية التي يريد دون الأخذ بعين الاعتبار لدور الأنثى/ الزوجة وحقها في الانفعال والتفاعل معه جنسيا".[1]

ومن هنا جاءت كتابة المرأة رفضا لهذا الواقع، فكتابتها ليست للترف أو المتعة للآخر، وإنما عمل جاد يغوص في هم المجتمع لاكتساب المسكوت عنه وفضحه لكي تخفف بذلك حضورها الأنثوي ومن أبرز مقومات الكتابة النسائية طغيان الذات على الموضوعية، فأساس الكتابة عندها هي التعبير عن ذاتها التي لا يستطيع الرجل الولوج في صلبها فتبقى كتاباته أي الرجل حسية غير شعورية، فالذات الأنثوية تظهر من خلال استعمال الضمير " أنا" أو المتصل " التاء".

[1] – نهال مهيدات، الآخر في رواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص 57.

تمهيد:

إن الخطاب الأنثوي هو خطاب ظهر كردّ فعل على الكتابات التي حققها الرجل الذي كان يهمش الأنثى في مختلف المجالات، حيث تفجرت أقلام نسوية، وأصبحت تكتب في موضوعات تجاري فيها الرجل مجارات الند للند.

فما هو الخطاب الأنثوي؟.

" إن الإبداع الأنثوي لم يكن جديدا في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، ففي كتاب " أدب خاص بهن" لـ " ألين شولتر" تعرض الكاتبة المبدعة وجهة نظر التجربة النسائية وتقسمها إلى ثلاثة مراحل (...) . فهي المرحلة النسائية الأولى (1840م/ 1880م) تتضمن أعمال " إليزابيت جاسكل"، و" جورج إليوت"، وفيها حاكت المرأة الكاتبة المعايير الجمالية البادئة، أما المرحلة الثانية (1880/ 1920) فإنها تتضمن كتابات " إليزابيت ر ونيز" و" أولقيت شراينز"، وفيها تطالب الكاتبات بالمساواة، أما المرحلة الثالثة (1920 و ما بعدها) فإنها تضمنت كتابات " ربيكا وست" و" كاترين ماتسيفلد" وفيها اعتمدت الكاتبات على وعي المرأة وعلى أساليب تقنية شكلت جماليات السرد النسائي بإعتباره أسلوب خطاب مثل تيار الوعي".[1]

المبحث الأول: خطاب الذات.

تملك الذات الفاعلة عدة سمات تجعلها تتفاعل في الحياة، حيث تملك مبادئ أساسية وتجارب متنوعة تساهم بشكل مباشر وغير مباشر على الآخر / الرجل، فالذات تدل على الضمير " أنا" ويتجلى هذا عند التكلم، أي يظهر عندما تتحدث الذات عن نفسها، ويتفرع خطاب الذات إلى عدة مسارات ذاتية، ومن بينها نجد الذات الأنثوية التي شكلت حيزا مهما في معظم الأعمال الأدبية النسوية لتعبر المرأة المبدعة عن ذاتها الأنثوية المهمشة من قبل الآخر.

" إذا كان الإبداع بمثابة المرآة التي تعكس الذات وتميزها، فإننا حين نقوم بتفحص سراديب النص الأنثوي، ونتعمق في الخطاب السردي نسعى للتعرف على الذات وتحديد هويتها ومعالمها وملامحها الخاصة ونحاول التمييز بينهما وبين الآخر.

[1] – سيد قطب وآخرون: في أدب المرأة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، مصر، ط 1، 2000، ص 138.

مغنى ذلك أن العمل الإبداعي الأنثوي عبارة عن مرآة تعكس ملامح الذات الأنثوية وهذا ما يجعلها تختلف عن كتابة الآخر.[1]

وإلى جانب هذا الرأي نجد الكاتبة " نهال مهيدات " التي تذهب إلى القول " بأن بناء الذات هو بمثابة هوية لها، فقد صنعت هويتها الثقافية صناعة تجاوزت من خلالها الممكن والمستحيل من دين وعرف وتقاليد وهوية ومجتمع وكذا الزوج والأخ والعائلة، وقد استطاعت الروائية أنّ تصنع عالما ممكنا لذاتها وكذا الآخر، وإن بحثنا عن ذاتها واكتشافها لتجربة الآخرين ما هي إلا حصيلة الاغتراب والتهميش، وقد وجدت أن من الصعوبة تجاوز وفهم الذات كلية (دين تراث، وعائلة، ومجتمع، وطفولة) وأن البحث عن الخلاص لا يبدأ من الآخر أو من الثقافة وإنّما من فهم الذات لما تريده وتسعى لتحقيقه".[2]

تسعى الذات الأنثوية في معظم الأعمال الأدبية إلى تحقيق واسترجاع هويتها الأنثوية الضائعة مقابل الآخر الذي حققها منذ زمن بعيد.

" إن الخطاب في السرد النسوي يقوم على الأنا في مقابل الآخر، فإذا كان هذا الأخير قد حقق ذاته تاريخيا واجتماعيا وإيديولوجيا فإن الأنا لا تزال تبحث عن هويتها الأنثوية التي تمثل لها نوع من إثبات وفاعليتها ".[3]

يوضح لنا هذا القول إن أساس الخطاب السردي النسوي يقوم على ثنائيتين وهما: الأنا (الأنثى). والآخر (الرجل)، بحيث يكون الآخر هو المركز في جميع المجالات على عكس الأنا المهمشة والتي تسعى إلى إثبات ذاتها الأنثوية الضائعة.

يذهب بعض المفكرين إلى اعتبار الذات الأنثوية مرآة تعكس الذات المبدعة، أي أنّها تعبر عن السيرة الذاتية للروائية.

" إن الذات الأنثوية قد تعكس صورة مقاربة لحياة الروائية ضمن ما يشبه سيرة ذاتية إلى مرحلة التغيير والتحول واكتشاف الذات".

---

[1] – ينظر: سيد قطب وآخرون: في أدب المرأة، ص 105.

[2] – نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، ص 59.

[3] – ليناء عبد الرحمان عبيد: تحولات الذات الأنثوية وتنوع المستويات السردية في رواية دارية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، ملحق 2، 2014، ص 777.

الملاحظ أن العديد من الروائيات يلجأن في أعمالهن الإبداعية الروائية المختلفة، خاصة منها جنس الرواية إلى التعبير عن الذات الأنثوية، وغالبا ما تشكل هذه الأخيرة سيرة ذاتية لهن.

لقد كانت المرأة منذ القدم مهمشة ومقصاة من قبل الآخر، وذلك بحكم هيمنة قيم ومعتقدات وعادات بالية وسلطات ومؤسسات وثقافة متحيزة، تتعامل مع المرأة جسدا فقط، هذا الوضع دفع المرأة المبدعة إلى الكتابة لكي تشكل في خطابها الأنثوي ذاتها الضائعة: "تشكل الذات الأنثوية داخل أي عمل نسوي ذاتا متشابكة متعالقة مع أطوار من المعانات والتي تختلف أزم رتها، وتقود إلى انعتا قها، فمن مرحلة الاستعباد والتهميش والإقصاء إلى مرحلة الوعي والتيقظ إلى مرحلة اكتمال الوعي واسترداد الذات".[1]

تسعى الأقلام النسوية إلى إبراز معاناة الذات الأنثوية من تهميش وقمع واستعباد الآخر لها /الرجل والمجتمع، وبالتالي فالمرأة المبدعة تسعى كذلك إلى الدعوة إلى ضرورة نشر الوعي واليقظة من أجل استرداد الذات الأنثوية التي قيدها الآخر لمدة زمنية طويلة.

" فالأنثى تسعى لإيجاد مساحة تفاعل بينها وبين المجتمع، تغادر بها نمطية التواري خلف أسوار الاستسلام لشروط التسلط والقهر، إنها تتدخل لصياغة ذات بديلة بعدما استحوذ المجتمع على ذاتها النمطية فاختزلها وأسقطها سهوا غير مبال، لعدم إنصافه واقتران هذه الذات بالإغراء والغواية".[2]

يبرز هذا القول بأن الذات الأنثوية تسعى لأن يكون دورها فعالا في المجتمع ، وبالتالي يكون صوتها مسموع لكي تتمكن من تجاوز مختلف أشكال التسلط والقمع والقهر الممارسة عليها، وكذلك النظرة السلبية المشكلة عنها من قبل الآخر.

اختلفت الدراسات حول تحديد مفهوم الذات الأنثوية، حيث ذهبت البعض إلى القول: " إن مفهوم الذات غير ثابت ومستقر، عند جنس محدد أو حالة ثقافية أو اجتماعية محددة...حيث

[1] – ليناء عبد الرحمان عبيد: تحولات الذات الأنثوية وتنوع المستويات السردية في رواية دارية، ص 783.

[2] – عبد الرحمن تبرماسين وآخرون: السرد هاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة محمد خيضر، الجزائر، د.ت، ص 41.

يكون مفهوم الذات لدى المرأة بوجه أخص مرتبطا بكل من الحالة الزوجية وطبيعة عملها ودرجتها العملية وعمرها الزمني".[1]

إن مفهوم الذات غير مستقر وثابت، بل هو متغير من جنس لآخر، وفقا لحالات معينة، وكما أن الذات لدى المرأة ترتبط بحالتها الاجتماعية والاقتصادية والعملية والثقافية والبيولوجية. فللذات الأنثوية ليست خاصة بالمرأة وحدها فحسب، إنما هي ملك للآخر/ الرجل، والمجتمع على خدّ تعبير " عبد الله الغذامي" : " أصبحت الأنوثة مادة مصنوعة من أجل الآخر، فهي ليست ذاتا قائمة بوجود وكيان خاص بها، أو عليها ولها دور محتسب في أعمالها وتصرفاتها ولكنها مخلوقة من اجل مخلوق آخر".[2]

رفضت المرأة أن تكون ذاتها الأنثوية تابعة لسيطرة الآخر، وأن يتصرف بها ويوجهها ويحركها كما يشاء، وكرد فعل لهذا الواقع المسيطر عليها، فقامت المرأة المبدعة بالإعلان عن تأسيسها لخطاب أنثوي خاص بها، تعبر من خلاله عن ذاتها الأنثوية المهمشة.

" والذاتية" هنا ليست إلاّ وسيلة وأداة، والمرأة لا يمكنها الحصول على حريتها، ما لم تؤسس لنفسها خطابا أنثويا مستقلا تستبدل به اللغة العتيقة وتسترد به الحرية".[3]

يعتبر تهميش المرأة المبدعة عن الساحة الأدبية السبب الرئيسي والأساسي الذي دفعها إلى تأسيس لغة خاصة بها، تميزها بذلك عن لغة الآخر التي ظلت حكرا عليه فقط لمدة زمنية طويلة، دون الآخذ بعين الاعتبار بصوت المرأة، ولكن في المقابل تحدت كل العوائق والحواجز التي تحول دون تحقيق حريتها.

" يمتزج الوعي بالذات بشعور اعتزاز التفرد الذي يتجسد في أنوثة الخطاب فتنطلق الأنثى لتعلن عن وجودها بكل اعتزاز وفخر من بداية الخليقة، فوجودها يخلق الضوء والدفء، لتتجسد

---

[1] – فوزية عساسي: الخطاب حول المراة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1997، ط1، ص 78.

[2] – عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000، ص 84.

[3] – آمينة بن عبد الرحمن الجبرين: المقالة النسائية السعودية، رسالة ماجستير، إشراف: صالح زياد الغامدي، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، السعودية، 2000، ص 47.

كامرأة منطلقة، وسلاحها في ذلك يتمثل في أدوات الكتابة التي تتوسم فيها الأمل في فك القيد".[1]يبرز لنا هذا القول أن وغي الذات الأنثوية المبدعة بالاختلاف والتمييز القائم بينها وبين الآخر، وهو الذي دفعها إلى اللجوء إلى عالم الكتابة.

فقد أضحت الكتابة عن الذات بالنسبة للمرأة أمرا مشروعا، تطلق العنان للاوعي بين الحين والآخر، وفق سياقات معينة، وضرورات اجتماعية ونفسية وحتى التاريخية تحفزها على الإبداع.

إن الكتابة تبوح وتكشف وتدين مواجهة كل الحدود والعراقيل والسلطات التي أوقعت بالمرأة في مغالطة لمدة زمنية طويلة، فجعلها ضحية مباشرة للقمع الذكوري وثقافة المنع والإقصاء والتهميش سواء في الوسط الأسري أو الاجتماعي.

والملاحظ أن الذات الأنثوية ذات مغيبة في عالم الكتابة، وهذا ما دفع بالروائيات المبدعات إلى الولوج في عالم الكتابة لتحقيق وجودهن في عالم قام بتغييب أصواتهن لمدة طويلة" إذ ليس للكينونة عندئذ إلاّ أن تتولد من الكتابة، وهي حالة الولوج إلى لغة الاختلاف و الانبثاق والانطلاق من الصمت، أو لنقل أنها انفجار السكوت".[2]

قامت المرأة المبدعة بالكتابة عن ذاتها الأنثوية وعن الآخر الذي هم شرها، وبذلك سعت نحو الاستقرار ورسم أفق الحياة، بحيث تكشف الكتابة النسوية ملامح الذات الأنثوية من خلال السعي نحو التغيير وتحقيق كيان المرأة تحت وطأة المعاناة الفردية والسلطة الاجتماعية.

" إن تغيير مفهوم الذات، بالنسبة للمرأة، يبقى بالفعل جانبا من واقع اجتماعي وطبقي أوسع، ومن واجب النقد النسوي أن يفك إيديولوجيا النظام الأبوي، كما هي ممثلة في مختلف الأشكال الثقافية، والتي هي دائما في تغيير مستمر".[3]

---

[1] – خصنة جافور المنصوري: النسوية في شعر المرأة القطرية، إشراف: عبد الرحمن بوعلي، قسم اللغة العربية، جامعة قطر، 2014، ص 82.

[2] – عبد الله الغذامي: الخطيئة والتفكير، ط2، دار سعاد الصباح للنشر، القاهرة، 1993، ص 53.

[3] – ماجي هام: النقد النسوي المعاصر، تر: حسن ازريزي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحدمية، المغرب، د.ط، 2015، ص 43.

يوضح لنا هذا القول إن مفهوم الذات الأنثوية غير ثابت ومستقر، وذلك بسبب اللاتوازن واللاتوافق بين الجنسين/ الذكر والأنثى وهذا راجع إلى قوة وسيطرة النظام الأبوي وانتشار الطبقية في المجتمع الذي يقوم بسلب إرادتها وطوق أفكارها.

إن الواقع الذي تخلله تمييز عنصري حاد، كان السبب الرئيسي في ظهور النقد النسوي الذي حاول كسر حواجز النظام الأبوي في المجتمع.

" توجد مشاكل في هذا الانتقال من الموجة الأولى إلى الموجة الثانية من النسوية، إنّ الإصرار على توفر المرأة جوهريا على أسلوب أنثوي، من شأنه أن يبق على استمرارية ظلت، منذ أمد طويل حول النساء باعتبارها طبيعية، ومن ثم لا عقلية يمكن لكتابة نسوية واحدة أن تسطح الاختلافات اللغوية بين النساء، وهو الشيء الذي يستجيب. للمجموعات العرقية أو الطبقية أو الوطنية، إلا فسيولوجيا النساء لها بالفعل معاني مهمة بالنسبة للنساء في جميع الثقافات، ويعتبر التعبير عن تلك المعاني شيئا رئيسيا بالنسبة للنقد النسوي أكثر من الخضوع للغة الذكورية".[1]

إن الذات الأنثوية ذات مغيبة في الساحة الأدبية وذلك بسبب العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع من قبل، ولكن المرأة المبدعة خاصة، حاولت تجاوز هذه النظرة السلبية عليها، وذلك بإثبات وجودها ككيان هام لا يمكن التخلي أو الاستغناء عنه في المجتمع، وذلك بمساهمتها في تكوين نظرة جديدة عنها، وذلك بمعرفة وإدراك نقاط نقصها لتكملتها، لتؤكد بذلك حضورها الأنثوي المغيب " لكي تسمع المرأة صوتها المكتوم، وتسعه صدى عميقا لوجودها كذات مفكرة فاعلة ومتواصلة".[2]

إنّ المرأة بحاجة إلى التعبير عن كل مكبوتاتها الداخلية، ولتخرج من دائرة الصمت المغلقة المفروضة عليها من قبل الآخر، لتتجه بذلك نحو الكلام والبوح عن كل ما يختلج في نفسها، ولهذا جعلت الكتابة أمرا محتوما عليها، وذلك في محاولة التوفيق ولو بجزء قليل بينها وبين الرجل، ساعية بذلك إلى تأسيس خطاب أنثوي خاص بها.

---

[1] – ماجي هام: النقد النسوي المعاصر، ص 53.

[2] – مجموعة من الكاتبات والكتاب: الكتابة النسائية محكي الأنا، محكي الحياة، منشورات إتحاد كتاب المغرب، المغرب، 2007، ص 09.

" يأتي جيل آخر ينظر إلى الواقع برؤية تجمع بين مفردات هذا الواقع القهرية وشعور الذات بضرورة الفعل الايجابي تجاه عناصر التسلط الاجتماعي مع تكثيف الوعي الذاتي غير المنفصل عن سيناريو الحياة الاجتماعية".[1]

يتبين لنا من هذا القول إنّ وعي المرأة بضرورة التغيير في مجتمع أبوي بامتياز، الذي قام بالتسلط عليها وتهميشها في جميع جوانب الحياة الذي كان السبب الأساسي والكفيل في محاولتها للدخول في المستعمرة الذكورية لاسترداد هويتها الأنثوية الضائعة والمسلوبة منها منذ أمد بعيد.

" لقد تحولت الذات الأنثوية عبر مسار الكتابة إلى وسيلة للتعبير عن مكبوتاتها الداخلية وكما أعلنت في المقابل ضرورة التغيير في واقعها الذي قام بتهميشها.

" تبقى المرأة بين حدود الذات وتخوم الكتابة، وحين تكتب نصها تكو ن قد كتبت عن ذاتها الأنثوية هذه الذات التي تتحول إلى علامة أنثوية جاذبة مستقطبة لجميع المحاور الأخرى، كما تتحول إلى مطلق سريع الانتشار يصعب الإمساك به يتوزع في خلايا النص، معتمدا على الصيغ المحتملة التي تجعله في حالة تغير وتحول وتلون، غن الكتابة النسوية هي عبارة عن إيقاظ لفتنة كانت نائمة، وإشعال النار كانت خابية".[2]

تعتبر الكتابة عند المرأة الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الذات للخروج من جلبات الرجل الذي يحيطها ويضيق عنها حريتها، فقد ناضلت المرأة المبدعة لفترة زمنية طويلة من أجل إفتكاك ما تيسر منها من مختلف القيود والحواجز التي وضعها الرجل الذي يؤمن ب أن الإبداع والفكر حكر على الرجال وأن النساء ناقصات عقل ودين، فالمرأة في نظر ه غير قادرة على الكتابة والإبداع مستندا بذلك أن فعل الكتابة هو المجال الخصوصي للرجل فقط ، فهو ينظر إلى أن المرأة عندما تكتب فقط لكي تعبر عن ألمها ومشاعرها . فلغة المرأة في نظر الرجل لغة لا ترتقي إلى مرحلة الإبداع، فلقد جعل الرجل من اللفظ فعلا وجعل من المرأة معنى يعبر هو عنه كما يشاء، لكن المرأة رفضت هذا، فحاولت تأسيس لغة خاصة بها تعالج فيها قضاياها المختلفة: " إن الكتابة عند

[1] – سيد قطب وآخرون: في أدب المرأة، ص 39.

[2] – الأخضر بن السايح، سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، ص 68.

المرأة وسيلة لمواجهة قهر السلطة الذكورية التي لا ترى في المرأة سوى ملاذا للمتعة، ومواجهة الوضع المتأزم في المجتمع الذي تغيب فيه نسبيا حرية المرأة".[1]

فمعاناة الذات الأنثوية في مجتمع أبوي / محافظ لا يحترمها ككيان أو عضو مستقل له دوره الخاص دفع بالمرأة المبدعة إلى اعتماد الكتابة لأجل إثبات ذاتها وإسماع صوتها الولوج إلى عالم الكتابة من أجل إثبات ذاتها.

[1] – ليندة مسالي: الرواية النسوية الجزائرية وخلفيات التشكل، أعمال الملتقى الوطني (PNR)الرواية النسائية في الجزائر، النشأة وأسئلة الكتابة، ص 23.

المبحث الثاني: إثبات الذات.

1 - تجليات إثبات الذات في نص " الممنوعة":

تمثل رواية الممنوعة للروائية " مليكة مقدم " واحدة من بين نتاجات الأدب النسوي، التي سعت من خلالها غلى فضح وتعرية الواقع سواء من الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وفي المقابل أعلنت على رفضها لهذا الواقع الذي همش المرأة ووضعها جانبا، ولم يهتم أو يعترف بها على أنّها عضو فعال له دوره ومكانته في المجتمع، وكرد فعل لهذا الوضع، حاولت الروائية " مليكة مقدم" على لسان أبطال روايتها، وخاصة مع البطلة " سلطانة" التي تحاول في كل مرة إثبات ذاتها الأنثوية المهمشة والمقموعة من قبل الآخر، فأين تجلت مظاهر إثبات الذات الأنثوية في الرواية؟.

لم تستسلم البطلة "سلطانة" في رواية الممنوعة لتلك العادات والتقاليد ولا لنظرة المجتمع الذي شتمها ووصفها بأقبح وأنذل الصفات، فلم تكن عود تها من بلاد الغربة نتيجة اشتياق أو حنين للوطن، بل من أجل التثقيف واكتشاف المعارف والعلوم والتمتع بالحرية، فعودتها من ديار الغربة كانت مليئة بالتحدي من أجل إثبات ذاتها الأنثوية، وفي قريتها " عين النخلة"، وخير مقال على ذاك عندما حظرت جنازة ياسين رغم منع رئيس البلدية لذلك، حيث يقول صالح لها:

" لن يسمحوا لك بحضور مراسيم الدفن، تعرفين بأن النساء لا يدخلن المقبرة لحظة الدفن سنرى جيدا من باستطاعته أن يمنعني من الدخول".[1]

بهذا تكون "سلطانة" قد قامت بإثبات ذاتها، على الرغم من منع حضورها الجنازة من قبل رئيس البلدية " بكار" وتابعه " على مرباح"، ومتحدية بذلك سلطتها." أسرعت خطاي إلاّ أن التحقت بالموكب الرجالي ورائي، وأنا المرأة وحدي، أتقدمهم وجميعا نسير نحو المقبرة".[2]

والأمر نفسه يظهر عندما تقرر البطلة سلطانة العمل كطبيبة في العيادة الطبية مكان صديقها القديم " ياسين" الذي توفي، وذلك إلى حين أن يجدوا طبيبا بديلا عنه في القرية، فرغم كل الضغوطات التي كانت تمارس وتشتد عليها، سواء من أهل المنطقة أو من الإسلاميين من جهة

[1] - مليكة مقدم: الممنوعة (رواية)، تر: محمد ساري، دار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008، ص 08.

[2] - المصدر نفسه، ص 23.

ومن المتطفلين من جهة أخرى مثل رئيس البلدية " بكار"، و" علي مرباح" اللذان حاولا بشتى الطرق القمعية استبعاد سلطانة عن العمل كطبيبة، وعن القرية، إلاّ أن سلطانة لم تتقبل هذا الواقع الذي همش ذاتها الأنثوية، وسعت بذلك بمختلف الطرق إلى إثبات ذاتها الأنثوية، وإعلانها في المقابل عن تحريرها وعن لا مبالاتها بذلك الواقع لدرجة التحدي، والمجاهرة بتمردها الأنثوي."إنها افتراءات وهلوسات ولدتها رفسة الماضي في صحراء الحاضر، غدا سوف لن يبق منها شيء، غدا ستدفن الريح الرم لية مخاوف الطفولة والمراهقة، غدا ستسكت ريح الشمال جنوبي، استأسد لا مبالاتي كل الثغرات".[1]

أرادت " سلطانة" إثبات ذاتها وكيانها، وما هو إلا عبارة عن كشف حساب بين ذاتها ومجتمعها، وتعاليها عن ذكرياتها القاسية والمؤلمة في فترة الطفولة والمراهقة، وبالتالي تطلعها إلى المستقبل بنظرة مغايرة مختلفة تحمل في طياتها أسس إثبات ذاتها الأنثوية.

" فمن الواجب أن تدرك الذات الأنثوية ما تعاني لتستطيع النهوض والخروج من ركام وضعها المتدني، ثم إن معاناة الذات تلتقي مع الآخر".[2]

إذن فالمعاناة التي تمر بها الذات الأنثوية هي المبدأ الأساسي والرئيسي الذي دفع بالمرأة إلى إثبات ذاتها الأنثوية وسط العراقيل والصعوبات التي وضعها الآخر، فهي بذلك تقف في وجه الآخر الذي قام بممارسة مختلف أشكال القمع والاضطهاد والعنف " إن النساء هن كلهن مقاومات يعرفن بأنهن لا يقدرن على مواجهة مجتمع ظالم ووحشي في أغلبه بشكل مباشر لذلك سلكن دروب المعرفة والعمل والاستقلال المالي، يقاومن تحت ظل رجال راكدين، يائسين، لا يسلكن طريق التحريض غير المفيد، وفق ذلك خطير، مثلما تفعلين، يموهن ويختفين كي لا يسحقن ولكنهن يواصلن الزحف والتقدم" [3]يوضح لنا هذا الملفوظ دور المرأة في العمل، لأنه يعتبر وسيلة للرقي والتطور واثبات الذات الأنثوية في الحياة العملية.

---

[1] – المصدر السابق، ص 08.

[2] – جورج طرابيشي: شرق وغرب رجولة وانوثة، دراسة في ازمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط1، 1997، ص 10.

[3] – المصدر السابق ص 179.

" لقد أثبتت المرأة نفسها في العمل المتواصل وهذا بقدرتها على مقاومة التعب والعقبات والعراقيل، بطبيعة ونوعية العمل، مثل الرجل، وكذا مقاومتها للكبت الاجتماعي، وكذلك العادات والتقاليد التي حرمت المرأة من العمل والتعليم، وكذا الإعداد التقني والمهني، فوجدن المرأة رائدة وحاضرة في جميع مجالات الحياة".[1]

" – أنت تدرسين في فرنسا؟.

–أنهيت دروسي، قبل سنوات قليلة، الآن أشتغل.

–وما هو شغلك؟.

–أنا طبيبة.

–مثل ياسين.

–نعم درسنا معا ياسين وأنا تقريبا كل سنوات الدراسة".[2]

يبرز لنا هذا القول إن سلطانة عندما واصلت دراستها في فرنسا كطبيبة رغم منع عائلتها، فهي بذلك تكون قد أثبتت ذاتها الأنثوية عن طريق التعليم والسفر والعيش في ديار الغربة.

"فلكي تثبت المرأة ذاتها الأنثوية إزاء التفرقة الجنسية يجب عليها أن تبدأ بالأهل ثم المدرسة، ثم العمل، أي لفتح أبواب المقاومة، يجب تحقيق المساواة والعدالة ببين الجنسين/ الذكر، الأنثى".[3]

" إن المرأة كالعمل الفني العظيم، لا يزهر إلا من تراث الثقافة الإنسانية الخصب، ومن خضم التجربة المتواصلة في خضم الحياة المخصبة بالصراع". [4] إن إثبات المرأة لوجودها في المجتمع، يجب أن تكون نابعة من الثقافة الإنسانية الخصبة، وأيضا يجب أن تتصل بالتجربة الممتلئة بالصراع مع الآخر، فالعمل هو الذي يحقق كيانها كأنثى في المجتمع.

---

[1] – ينظر: جرمين بورسيل، المرأة في الحياة المهنية، من أجل تكافئ الفرص بين الجنسين، د.ط، مؤسسة الخدمات الطباعية، درغام، لبنان، 1984، ص 36.

[2] – المصدر نفسه، ص 98.

[3] – ينظر: جرمين بورسيل، المرأة في الحياة المهنية، ص 57.

[4] – صنع الله إبراهيم: التجربة الأنثوية، دار الثقافة الجديدة، اتحاد كتاب دولة الإمارات العربية المتحدة، القاهرة، مصر، ط1، 1993، ص 06.

إن حق العمل هو أمر لا نقاش فيه، ولا مانع منه، باعتباره وسيلة الرقي والتطور، واثبات ذاتها كعضو فعال في المجتمع، ولهذا السبب اتخذته المرأة كأداة لتستقل بذاتها عن الرجل الذي كانت تابعة له من زمن طويل " من الظلم أن تمنع المرأة عن العمل في سبيل الحصول على ما يقيتها، وقد كفتها الطبيعة على التزود بسلاح فعال في التناحر على البقاء".[1]

يوضح لنا هذا القول وجوب إعطاء العمل للمرأة مثلها مثل الرجل الذي منعها من المشاركة معه في الحياة العملية، لكن المرأة حاولت تجاوز هذا التمييز القائم بينها وبين الآخر معلنة بذلك اشتراكها ودخولها في حقل العمل مثلها مثل الرجل، لكي نثبت ذاتها الأنثوية.

وبالإضافة إلى هذا أسهمت المرأة إبداعها في مجال التعليم رغم رفض الآخر لها فقد أيقنت المرأة أن التعليم هو السبيل الوحيد للوصول إلى تحررها، فتعليم المرأة أصبح من ضرورات العصر الحياتية والعملية التي لا يمكن الاستغناء والتخلي عنها في الوقت الحالي، وباتت المرأة المتعلمة والمثقفة تشغل مناصب عدة ومهمة كونها امرأة مثقفة، وأصبح المجتمع ينظر إليها بنظرة أخرى مختلفة عن نظرته السابقة لها، على أنّ مكانها الأصلي مقترن بالوحدة المنزلية لا غير ويجب عليها التفرغ بتربية الأولاد وتلبية احتياجات الرجل فقط إلا أن المرأة رفضت هذا الواقع الذي همشها وقام باستبعادها عن قطاع التعليم، ولكن في المقابل رفضت المرأة هذا الوضع فعملت جاهدة على إثبات ذاتها:

" تثبت المرأة نفسها وذاتها من خلال التعليم وتستطيع من خلال ذلك أن ترد على اضطهاد المجتمع لها... ومن خلال التعليم نستطيع أن تبني نفسها وذاتها بثقافة، تستطيع من خلالها تربية جيل منفتح واع وقادر على مواجهة الصعاب والمشاكل". [2]كما تلعب المرأة المتعلمة دورا هاما في نهضة المجتمع والمساهمة في بناءه وكذا المشاركة في إنشاء جيل متعلم قادر على مواجهة الصعاب والمشاكل.

[1] – إسماعيل مظهر: المرأة في عصر الديمقراطية، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1984، ص 123.

[2] – هيام الزحراوي: "أهمية تعليم المرأة"، جريدة الدستور، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، الأردن، العدد 176، 2012.

اتخذت بطلة الرواية سلطانة التعليم كوسيلة من أجل إثبات ذاتها الأنثوية في ظل مجتمع ذكوري ظالم: " لكن وردة تقول لي دائما: (اعملي جيدا، ولا تقولي شيئا لأبيك ولإخوتك)، تقول أيضا بأنني سأواصل الدراسة حتى يجد الجامعة...إن شئت" .[1]

فهذا القول يبين إن درجات التعليم لدى المرأة في مجتمعنا قد تتوقف في المراحل الأولية أو المتوسطية أو الثانوية والقلة تكمل المرحلة الجامعية، وذلك لمفهوم السائد بأنها لا تحتاج لأكثر من ذلك، أو الاعتقاد الخاطئ أنها لا تستحق لأن دورها حسب الآخر محدد وثابت في المنزل لا غير، أما التعليم فهو شيء ثانوي، لكن المرأة رفضت هذت التمييز والإقصاء والحرمان من التعليم الذي فرضه الآخر عليها، ذلك أنّها ناضلت حتى أصبحت الآن تحتل مراكز مهمة في مختلف المجالات.

المبحث الثالث: مواجهة الهيمنة الذكورية:

إن تهميش المرأة في المجتمعات الذكورية/ الأبوية من قبل الآخر/ الرجل والمجتمع جاء نتيجة تضافر مجموعة من الظروف والخطابات والتأويلات الساذجة التي أنتجها الرجل على المرآة والتي من خلالها قام بوصفها على أنّها الجنس الضعيف، فهذا ما دفع بالرجل إلى ممارسة مختلف

[1] – المصدر السابق، ص 37.

أساليب وأشكال القمع والعنف والاضطهاد ضدها، حيث لم تقتصر هيمن ته داخل الوحدة المنزلية فحسب، وإنما شملت الآن مستويات عديدة ومختلفة وصلت إلى حد القضاء على التفكير والإبداع بالنسبة للمرأة.

إن تاريخ النظام الذكوري له عدة أشكال وأنواع مختلفة للهيمنة الذكورية على المرأة، حيث يقول بيار بورديو: " إن قوة النظام الذكوري تتراءى فيه أمرا يستغني عن التبرير، ذلك أن الرؤية مركزية الذكورة تفرض نفسها وكأنها محايدة، وأنها ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها، في خطاب تهدف إلى شرعيتها". [1] فالنظام الذكوري دائما يسعى في جميع مجالات الحياة المختلفة أن يكون في المركز عكس المرأة التي يتم تهميشها ووضعها على الجانب.

لم تستسلم المرأة لهذا الواقع الذي همشها، ونظر إليها نظرة دونية واحتقار، وغيبها في جميع المجالات، وكرد فعل لهذا الوضع قامت المرأة بتحرير نفسها من سيطرة وهيمنة الرجل الذي قيدها لفترات تاريخية طويلة، ومن بين الوسائل أيضا التي اتخذتها المرأة بصفة خاصة كسبيل للخلاص أو الخروج من هذا الوضع المهيمن الذي فرضه الآخر عليها، نجد الكتابة الأنثوية التي اعتبرتها المرأة فعلا تحرريا، وإعلانها بذلك عن نهاية السلطة والعجرفة أو الغطرسة الذكورية التي استمرت مدة زمنية طويلة، فالكتابة إذن وسيلة لاستعادة الهوية الأنثوية الضائعة التي استوى عليها الرجل.

عبرت النساء المبدعات عن خلجاتهن وطموحاتهن ومطالبهن عن طريق عدة أجناس أدبية، وأكثر جنس أدبي استحوذ على اهتمام الروائيات المبدعات هو الرواية حيث تقول في هذا الصدد الكاتبة " نهال مهيدات": " إن الرواية هي الميثاق الأنثوي الذي تسعى فيه المرأة لحماية وجودها من تسلط الثقافة الذكورية". [2]فتعتبر الرواية الجنس الأدبي الأكثر استحواذا من قبل المرأة المبدعة بصفة خاصة، ذلك لأنها تجد فيها حريتها المطلقة للتعبير عن كل ما يجوب في نفسها من مشاعر مختلفة تجاه نفسها واتجاه العالم.

---

[1] – بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 27.

[2] – أعمال الملتقى الوطني (PNR)الرواية النسائية في الجزائر، النشأة وأسئلة الكتابة)، إشراف: نورة بعيو، يومي 20. 28/ 05/ 2013، تيزي وزو، ص 169.

فالكتابة إذن عند المرأة هي وسيلة لتحقيق غايتها وسلاح تواجه به الآخر: " إن فعل الكتابة يحقق للمرأة حضورها الأنثوي، وتواجه الآخر للرّد على مزاعمه لتحقيق ذلك تعمل جاهدة لاكتساب لغة خاصة بها تميزها عن الآخر، لغة تتخطى بها حاجز الضعف الذي أوقعها فيه الرجل".[1]

ومن بين الروائيات الجزائريات اللواتي اتخذن من الكتابة كأداة للتعبير عن مطالبهن وتمردهن عن الواقع المرير الذي سيطر عليه الرجل دون الآخذ برأي المرأة، فهذا ما دفع بالروائية " مليكة مقدم " بروايتها " الممنوعة " والتي أظهرت من خلالها سخطها للواقع الذي تعيشه في قريتها " عين النخلة" وفي المقابل أعلنت كذلك عن رفضها للعادات والتقاليد والعرف والدين والممارسات اليومية لسكان تلك المنطقة، فهي تنظر إلى هذه الأشياء على أنها عائق وحاجز تحول دون حريتها، ولهذا أعلنت عن تمردها ضد كل أشكال القهر المادي والمعنوي.

وبالإضافة إلى هذا فقد عالجت " مليكة مقدم " في روايتها أشكالا مختلفة من الهيمنة الذكورية على المرآة ومن بينها نذكر:

1 - وصف المرأة بالدونية:

كان الرجل السبب الرئيسي خلف قهر المرأة في جميع مجالات الحياة المختلفة، واعتبرها الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه إلا تحت وصايته، وبالإضافة إلى هذا قام الرجل بزرع أفكار سلبية تتسم بالنظرة الدونية والانحطاطية حول صورة المرأة، وهذا ما أكدته " ميليت" بقولها: " إن ميلير لـه عقل مشوه، لأنه غير قادر على وصف سلوك جنسي حقيقي، وإنما تكره ميليت خاصة عند ميلير هو تشبيه للمرأة بأنها عاهرة".[2]

نجد هذا الوضع نفسه عند سلطانة بطلة رواية " الممنوعة " التي عانت هي الأخرى من ألم الشتم والذم اللذان تعرضت لهما من قبل أفراد مجتمعها كبيرا وصغيرا، والذي جعلها تشعر بالمهانة والذل والقمع في مجتمع ذكوري متسلط مليء بالضغوط من جوانب عدة تحمل الرجل فيه كل ضرر لحق ويلحق بها، سواء من الجانب الجسدي أو النفسي الذي يحمل مواقف مأساوية وأفعال وحشية عاشتها المرأة بتعرضها لأبشع ألوان العنف والقهر والمعاناة، وهذا الوضع نفسه نجده عند

[1] - وذناني بوداود: الكتابة الروائية النسائية بين إغراءات الواقع وفسحة التخييل، ص 13.

[2] - ماجي هام: النقد النسوي المعاصر، ص 43.

البطلة " سلطانة" حيث نقول: " عاد السائق، وقبل أن ينطلق وجه إليهم غمزات متواطئة، تشبث الأطفال في السيارة، ضاعف الرجل من سرعة السيارة مقهقها تملكني الخوف من حدوث مكروه، فأطلقت صيحة حادة، وقبل أن ينفصل عن السيارة صاح أحد الأطفال:

قحبة!

ارتجفت أكثر من صورة الشارع المؤسفة، أكثر من صورة الصحراء، فإن هذه الكلمة تغرس الجزائر في نفسي مثل خنجر، قحبة كم مرة، أثناء فترة المراهقة، وأنا مازلت عذراء، ولكنني جريحة، تلقيت هذه الكلمة كقيء على براءتي قحبة".[1]

تصرح فسلطانة بأنّها تعرضت للشتم والمهانة من قبل أفراد مجتمعها كبيرا وصغيرا حتى الأطفال، فكلمة فحبة التي كانوا يشتمونها بها تركت في نفسها ألما حادا وعميقا: " فالعنف الموجه ضد المرأة بجميع أشكاله، الجسدي والنفسي والجنسي واللفظي، والحرمان الاجتماعي والاقتصادي والتهديد لهذه الأعمال والإكراه وسائل أشكال الحرمان من الحرية، وذلك بسبب كونها أنثى سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر، يؤدي إلى إلحاق ضرر أو الم جسدي أو عقلي أو نفسي أو اجتماعي أو اقتصادي بها سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة".[2]

نستشف من هذا القول أن المرأة تعاني من جميع أنواع العنف والقمع والاضطهاد الممارسة عليها من طرف الآخر، وذلك في جميع جوانب الحياة. فوصف المرأة بالدونية واللا أخلاقية يظهر جليا في هذا القول: " حينما تتحدث أمي عنها، إخوتي يقولون بأن سامية فتاة بلا أخلاق، هذا ليس صحيحا؟ إن سامية تريد فقط إتمام دراستها وتتجول في الشوارع منى أرادت وان تعيش في هدوء، أما إخوتي لا يفكرون فيها إلا لشتمها".[3]

يبرز لنا هذا القول بأن المرأة عندما تطالب بحقوقها كالتعليم مثلا يرفضها الآخر، ويعتبرها بلا أخلاق ظلم وإجحاف في حقها، فالعلم حق للرجل كما للمرأة.

[1] – المصدر السابق، ص 12.

[2] – مهند عبد الحميد : الطريق إلى تحرر المرأة، ص 121.

[3] – المصدر السابق، ص 36.

وفي موقف آخر من الرواية يظهر كذلك وصف المرأة بأقبح الصفات: " تجمهر رهط من الرجال بمدخل المستشفى، امسكني من يدي عليلو الذي لم يفارقني منذ استيقاظه، أشد يدي بقوة لا أنظر إلى حد.

-كلبة! صرخ صوت أخاله علي مرباح".[1]

فدائما ينظر للرجل على انّه مثالي ومتخلق عكس المرأة التي ينظر إليها بنظرة احتقار وأنه غير متخلقة: " صار كل ما هو مذكر جميلا، وكل ما هو مؤنث بشعا".[2]

يظهر لنا هذا بأنّ المرأة ينظر إليها بنظرة دونية فقد نعتت وشتمت بأنذل الصفات وهذا ما يظهر في قول "سلطانة" الملفوظ: " لستم إلا قضبان منتصبة انتصابا غير مشبع، عيونكم قذرة، هامات وظيفتها الوحيدة هي تلويث وقضم النساء! قطعت كلماتي بالتذاذ في فوضى عاداته المضحكة...صرخ أحدهم: بنت القحبة".[3]

2 – العنف الجنسي تجسيد للهيمنة الذكورية على جسد المرأة:

يمارس الرجل على المرأة هيمنته وقوته في مختلف جوانب الحياة المختلفة، ولعل أعنف هذه الممارسات العنف الجنسي، ومن خلال هذا يتحول جسد المرأة إلى مصدر الألم والمعاناة، فال رجل ينظر على أن الفعل الجنسي شكل من الهيمنة والاستيلاء والتملك والاستبداد حيث يقول " بيار بورديو " العلاقة الجنسية علاقة اجتماعية من الهيمنة، وذلك لأنها قد بنيت من خلال مبدأ التقسيم الجوهري بين المذكر الناشط والأنثوي الخامل والرغبة الذكورية كرغبة بالتملك والهيمنة التي صارت منبثقة، والرغبة النسوية كرغبة بالهيمنة الذكورية".[4]

يتضح لنا أن هناك شكلا من أشكال الهيمنة الذكورية على المرأة أثناء العلاقة الجنسية " فبيار بورديو" يذهب إلى أنه حتى في العلاقة الجنسية يكون الذكر هو الأقوى والمسيطر والناشط، بينما الأنثى هي الحلقة الأضعف، فالرجل بحكم قوة بنيته الجسدية يقوم بالسيطرة على جسد المرأة الضعيف وبالإضافة إلى هذا فقد شبه " سيد قطب" " العلاقة الجنسية التي يكون فيها الرجل

[1] – المصدر نفسه، ص 173

[2] – عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، ص 166.

[3] – المصدر السابق، ص 173.

[4] – بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، ص 60.

يمارس كل قوته وسيطرته لكي يشبع غرائزه الجنسية لا غير، ويثبت للمرأة بذلك أنه الأقوى، فقطب يرى كل هذا بأنه فعل حيواني لا إنساني".[1]

إن النظرة الفحولية لا ترى في المرأة سوى أداة جنسية ينحصر دورها في إشباع رغبات الرجل، وهو ما يجعل العلاقة بين المرأة والرجل تتأسس على التبعية والإخضاع وليس الندية والمساواة وقد أسهم ذلك في ترسيخ النظرة التبخيسية التي تختزل المرأة في الجسد دون أن يسمح لها بالارتقاء إلى مستوى النّد والشريك فقد حصرت النظرة الذكورية دور المرأة في إمتاع الرجل وإشباع رغباته الجنسية لا غير " لما كان الذكر يمثل الأصل وصاحب المنزلة الرفيعة كانت المتعة من حقه خلاف الأنثى التي مثلت الفرع فكانت بذلك في خدمته وتابعة له".[2]

فللرجل أثناء العلاقة الجنسية يمثل الكل المسيطر عكس المرأة تمثل الجزء الضعيف والتابع له.

" يصل القهر الذكوري على المرأة إلى حد إلغاء إرادتها، وسلب إنسانيتها بل وتجريدها من جسدها حتى أنها لا تشعر به إلاّ من خلال الرجل القاهر، كل ذلك كونها أنثى تفتقر و لا تمتلك خصائص الذكر".[3]

تقوم العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة على أساس السيطرة والرغبة والتملك والإخضاع، فالرجل يسعى غلى نيل حقوقه كاملة غير منقوصة، ولكي يتحقق ذلك يتعين على المرأة أن ترضخ لأهوائه ونزواته بغض النظر عن حقوقها الجنسية " فنظرة الرجل للجنس ما هي إلا إشباع غريزته أمام المرأة مستعملا كل أشكال القهر والعنف مستغلا بذلك السلطة التي منحها إياه المجتمع مقابل ضعف المرأة فيستغلها جنسيا".[4]

3 - العرف الاجتماعي يكرس مركزية الرجل:

نظرا لمكانة الرجل المهيمنة والمتسلطة عبر الأزمنة والعصور في الحياة الاجتماعية نجد أن العقل البشري دائما يرى أن النساء مهمشات طبيعيا، أو هن عبارة عن أشياء ملتوية أو

[1] - سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1982، ط1، ص 174.

[2] - أمال قرامي: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2007، ص 182.

[3] - عبد الرحمن تبرماسين وآخرون: السرد هاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، ص 227.

[4] - المصدر السابق، ص 228.

صغيرة أو حتى أنهن حقيرات وتافهات وضعن فقط لخدمة الرجال لا غير، وهذا ما نجده في مقطع من الرواية " نعم لدي عدد كبير من الإخوة يكثرون من الضجيج يتشاجرون باستمرار، يتشاجرون معي ويتشاجرون مع أمي. يقولون لي دائما: لا تخرجي! اشتغلي مع أمك! أعطي لي نشرب! جيبي لي صباطي! حدّدي لي سروالي! حطي عينيك حينما أكلمك! يصرخون ولا يعرفون إلا إعطاء الأوامر أحيانا يضربونني. أنّما تفرح كثيرا عندما أكون عند وردة لأنني عندئذ استطيع القراءة وتحضير دروسي. ولكنها تقول أيضا: طيعي إخوتك، وإلا لست ابنتي!).[1]

وتقول الساردة في مقطع آخر: " آتي إلى هنا حينما أنام عند وردة في المساء، حينما لا يجدونني في البيت، يعتقدون أنني عندها، أما أبي فإنّه دائما في المقهى يلعب الدومينو، وأمي تشتغل في البيت لا تنام".[2] لقد" اعتبرت المرأة أكثر العناصر قهرا في المجتمع فكل ما وجد قهر واستغلال لا بد أن يصيب المرأة منها القسط الأوفر وحيثما وجدت الحاجة إلى حشر كائن في وضعية المهانة والذّل لا بد أن يقع الاختيار على المرأة".[3]

إن المرأة هي العنصر المستغل دائما من قبل الآخر، حيث تتعرض إلى مختلف أنواع المهانات والاستعباد، وهذا ما تناوله الكاتب " بيار بورديو" في قوله: " نجد الهيمنة الذكورية، إذ كل الظروف مجتمعة لممارستها والحضور المعترف به كونيا للرجال، يتأكد في موضوعية البنى الاجتماعية ونشاطاتها الإنتاجية وإعادة الإنتاج، والقائمة على تقسيم لعمل الإنتاج وإعادة الإنتاج البيولوجي والاجتماعي، ويمنح للرجل النصيب الأوفر".[4]

فهو يؤكد أن الهيمنة الذكورية على المرأة موجودة في جميع مجالات الحياة المختلفة، فدائما تمنح للرجل امتيازات وفرص عمل أكثر من المرأة.

إن سيطرة الرجل على المرأة جعلته المسؤول الرئيسي عن ألوان التهميش الذي تعرضت له، عبر تاريخ طويل من القهر والاستغلال من الجانب الاجتماعي. يمثل القهر الاجتماعي الممارس على المرأة من قمع وعنف وقهر، يعيق حريتها ويسلب إرادتاها.

---

[1] – نفسة، ص 36.

[2] – نفسة، ص 38.

[3] – بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، ص65

[4] – بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، ص 66.

4 – هيمنة الرجل سياسيا/ سلطويا:

يسعى الرجل دائما غلى تصغير المرأة، وإنكارها وتهميشها وجعلها خاضعة للصمت والخنوع خاصة في المجال السياسي عندما يكون الرجل ذو سلطة سياسية عليها. وهذا ما نجده في مقطع من الرواية"

" صعدت الأدراج وصفقت الباب ورائي مباشرة جاء خالد للقائي.

-تعالي، تعالي.!

-دفعنا عليلو وأنا داخل العيادة وأغلق الباب:

-قبل قليل، مرّ رئيس البلدية من هنا، مهيجا زنبور في بداية الربيع، طرد الرجال من قاعة الانتظار، لا تنتظروها اذهبوا! لا نريد بقاءها هنا! ليست جديرة لاحتلال هذا المنصب، لم ينظر إلى نفسه، هو الذي يعامل الناس مثل القطيع".[1]

إن رئيس البلدية " بكار" كان يتمتع بنفوذ سياسي فاستغله ومارسه على سلطانة، حيث حاول طردها من العيادة الطبية، وهذا ما تؤكده " ميليت" بقولها: " بأن سلطة الرجال السياسية على النساء ترجع إلى تقسيم سياسي أكثر عمقا بالمجتمع من النظام الأبوي، وهي تقدم مجموعة من البراهين على ذلك لتبرزه على أنه نموذج أصلي".[2]

ف " ميليت " تؤكد بان هيمنة الرجل على المرأة من المنظور السياسي، يعود إلى تقسيم سياسي عميق جدا، أعطى للرجل سلطة وقوة على عكس المرأة الذي قام بتهميشها وإقصائها عن هذا المجال السياسي.

" تجد المطلقة أو الأرملة نفسها في الشارع مع أطفالها، لا أحد يستطيع إعالتها أو حمايتها. لا احد، لقد علمنا النساء دوما بأن الشارع ليس مكانهن عليهن فقط الاهتمام بداخل البيوت، ولكن ها نحن نرى عددا منهن، ويواجهن يوميا المنشفة في اليد، التعجرفات المتنوعة وقاذورات الإدارات والمؤسسات والقوانين التي تشتمهن".[3]

---

[1] – المصدر السابق، ص 173.

[2] – ماجي هام: النقد النسوي المعاصر، ص 41.

[3] – المصدر السابق، ص 177.

إن تعنيف المرأة وتفضيل الرجل عليها، ومعاملتها بالدونية وسلب ممارسة دورها وحقها في الحياة ساعد الرّجل في تنويع سلطته عليها في أطر القيم السياسية، وجعلها الضحية الوحيدة في المجتمع، وهذا ما يظهر جليا في قول: " لم نكن نوافق على كل ذلك التعنيف الذي نزل عليك، ولكننا لم نكن نملك أية وسيلة، أي نفوذ للتدخل في صالحك... وهل تحصلن على هذه القوة التي كانت تنقصكن؟.

حينما يبلغ السيل الزبى، علينا أن ندافع عن أنفسنا، ربما نستمد قوتنا من هذه الجهة، يستطيعون استعبادنا وتكسيرنا الواحدة بمعزل عن الأخرى ولكنهم سيفكرون جديدا قبل القيام بأي منكر إذا كنا موحدات".[1]

إن المرأة صوتها مكبوت أو مقموع في المجال السياسي ذلك لأن الرجل قام بالسيطرة المطلقة على الساحة السياسية، فهذا ما يؤكد أن المرأة ما زالت تعيش تحت وطأة النظام الأبوي بامتياز فلستعباد المرأة وتهميشها من الجانب السياسي الذي ظل حكرًا على الرجل منذ أمد يعيد دفع بالمرأة المبدعة بصفة خاصة إلى اللجوء للكتابة للتعبير عن تهميشها في الساحة السياسية من طرف الآخر/ الرجل المجتمع.

5 – القيود الأسرية المفروضة على الأنثى:

تعاني المرأة من قيود المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة اللذ ين قيدا حريتها، ورفضا أن يعترفا بها كعضو فعال في المجتمع له دوره وصوته ومكانته فيه، فرغم هذا الدور الكبير الذي تؤديه المرأة، إلا أنها قوبلت بالرفض والهجوم من قبل الآخر، ومن بين أشكال وأنواع هذا الرفض الممارس على الأنثى، من بينها نذكر منع خروج الأنثى إلى الخارج، وبالمقابل حصرها فقط في بؤرة الوحدة المنزلية لا غير، وبالتالي عزلها عن المحيط الخارجي، فهو بذلك يقوم بتهميشها ومنعها من تأدية أدوارها، ونشاطاتها المختلفة خارج المحيط المنزلي، خوفا منه بأن تثبت نفسها كأنثى مبدعة في مختلف المجالات، وهذا ما نجده في مقطع من الرواية: " لدي عدد كبير من الإخوة، يكثرون من الضجيج يتشاجرون معي باستمرار... يقولون لي دائما لا تخرجي! اشتغلي مع أمك".[2]

[1] – المصدر نفسه، ص 182.

[2] – المصدر السابق، ص 36.

يوضح هذا المقطع أن الرجل هو السبب الوحيد في عزل المرأة ومنعها من تأدية نشاطاتها خارج المنزل وكما نجد أيضا في مقطع آخر: " أحيانا يقولون لي: أنت لن تذهبي إلى المدرسة، لن نتركك تفعلين مثلا سامية.

-تقصدين الجامعة؟.

— نعم الجامعة"[1]

إن العنف الذي يمارسه الرجل على المرأة هو عنف روحي وجسدي، حيث تصبح الهيمنة الذكورية هي هيمنة ثابتة وغير متغيرة وهي أبدية، يسعى كذلك الرجل إلى تصغير وإذلال المرأة وإنكارها بحيث يجعلها تخضع للصمت والخنوع، فالنساء هن معرضات دوما للإهانة إذ كن ضعيفات ولهذا وجب على المرأة الدفاع عن ذاتها الأنثوية المهمشة من طرف الآخر.

2)- تمظهرات الهيمنة الذكورية:

ا)- ممارسة فعل التصميت على المرأة:

1- تعريف الصمت:

لغة: " صَمَتَ، يَصمُتُ، صُمتَا، وصمتَا، وصُمُوتَا، وصُمَاتًا، وأَصمَت: أطال السكوت.

والتَّصْمِيت: التسكيت والتصميت أيضا: السكوت.

ورجل صَمت أي سكَتَ والاسم من صَمَت: الصُمْتة وأَصْمَتَه هو صَمتَه، وقيل: الصَمْتُ المصدر وما سوى ذلك، فهو اسم والصُمتة بالضم: مثل السُكتة، ابن سيده والصَمتَة والصُمتة ما أَصْمِتَ به".[2]

اصطلاحا: " يحدث الصمت عندما يعجز الإنسان عن نقل ما يشعر به، وما يعيشه في حياته من أحداث ووقائع، وبذلك يكون اللفظ عاجزا ان يكون أداة عبور صالحة لما يريد الفرد نقله، وهذا ما يدفعه إلى الصمت والسكوت".[3]

2 - التصميت الأنثوي:

---

[1] - المصدر نفسه، 37.

[2] - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مج3، بيروت، 1994، ص 216.

[3] - آمنة بنت عبد الرحمن الجبرين المسهو: المقالة النسائية السعودية، ص 36.

المقصود منه تسكيت المرأة من قبل الآخر / الرجل، المجتمع، فه و بذلك يقوم بمنعها من الإدلاء والتصريح بكل ما يختلج في نفسها حيث" يسلب الرجل المرأة لسانها".[1]

فهيمنة الرجل على المرأة لا يقتصر على العنف الجسدي فقط ، بل يتجاوز ذلك غلى العنف المعنوي (التصميت) " وقد استغلت فكرة ان صوت المرأة عورة لذلك يجب عليها أت تخفض صورتها أو تمسك عن الكلام".[2]

2 – أشكال التصميت الممارسة على المرأة في الممنوعة:

ظلت المرأة عموما، والمرأة العربية على وجه الخصوص بمنأى عن ساحة الإصدار والإنتاج لفترة طويلة من الزمن، حيث استطاع الرجل من خلالها ومن كل ما يملك من مظاهر السلطة والقوة أن يتربع على عرش الإبداع، على عكس المرأة التي كانت مهمشة في كل جوانب الحياة المختلفة، وذلك لفعل عامل التصميت الممارس عليها من قبل الآخر، فالعلاقة الموجودة بين المرأة والرجل هي علاقة اضطهاد وسيطرة خصوصا في ظل الحصانة الأبوية منذ ألوف السنين والطبيعة دائما تعطي لنا تبريرات ممتازة لاستمرار هذا الاضطهاد وغياب الحوار معها ومع الرجل وكذا تصميتها في دائرة محكمة الإغلاق وهذا ما بينه " جورج طرابيشي" حيث يقول: فالحرب رجولة والسلام أنوثة، والقوة رجولة، والضعف أنوثة، والسجن للرجال والبيت للنساء".[3]

فللمرأة لا تزال ينظر إليها نظرة تقليدية الطابع، كما أنها الحلقة الأضعف والعاجزة عن تمثيل نفسها، وهي على الهامش دائما فقد صمتت وغيبت وظلت على عتمة هيمنة القيم والمؤسسات والمعتقدات وحتى هناك الثقافة المتحيزة مع المرأة التي تتعامل معها جسدا فقط، وتمنعها بـأن تدلي بصوتها وهذا يعني القيام بتصميتها في المجتمع.

هذا ما تجلى في نص الممنوعة: " أوقف السائق سيارته القديمة قرب تاجر الخضراوات، نزل دون أن ينبش بكلمة، ألقيت نظرة فزع إلى الشارع، يعج أكثر بكثير مما كنت أراه في كوابيسي، بلا

[1] – عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، ص 38.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

[3] – جورج طرابيسي: شرق وغرب رجولة وأنوثة، ص 08.

خجل، يفرض الشارع تفضيله للذكور شاهرا عنصريته الصراخة تجاه الإناث، إنه حامل بكل المكبوتات، منحور بكل الحماقات، ملوث بكل الش ق اءات، جاثم في قبحه تحت شمس بيضاء". [1] فالبطلة سلطانة وجدت نفسها عاجزة عن الكلام أمام السائق الذي أزعجها بنظراته وتصرفاته القاسية دون معرفة السبب لذلك بالرغم من أن البطلة تصرفت معه بشكل لائق.

وبالإضافة إلى هذا فالصمت شمل كذلك الجانب الإبداعي عند المرأة وهذا ما ذهبت إليه المفكرة "شعلان": " إنّه قهر ثقافي يمارس على المرأة الكاتبة من خلال لجم لسانها، واستنزاف قدراتها الكتابية حتى يغدو الصمت هو الطريق الأكثر أمنا لدوام وجودها، وهو صمت قصري، تفرضه السلطة الذكورية على المرأة/ الكاتبة لتحد من مقاومتها واستمرارها في الكتابة، وتقوم به الثقافة لضمان استمرارية الزعامة الذكورية على اللغة والقلم". [2] إن الرجل هو صاحب القلم وهو مؤسس لوجوده، واقتراب المرأة من عالم الكتابة، يعني اقتحامها لمملكة الرجل، وبهذا حرص هذا الأخير على إسكات المرأة الكاتبة بمختلف أنواعه.

إلى جانب هذا فالصمت " يحيط بمختلف أشكال العنف المادي والرمزي تجاه النساء، لأن معتقدات الجماعة تبرر استعماله، كما يستبطنه ضحاياه".[3]

يتخذ الصمت عدة أشكال وأنواع من العنف سواء كان عنفا ماديا أم كان رمزيا، وهو ممارس على المرأة خاصة المبدعة منها، وهذا لمنعها من الإبداع والرقي والإنتاج، وهذا التصميت جاء نتيجة الذهنيات والعقليات القديمة التي يؤمن بها الآخر، وكذا معتقدات الجماعة التي تبرر وتشرع استعمال التصميت، فمعتقدات الجماعة تجبر المرأة على الصمت إزاء كل أشكال العنف والقمع الممارس عليها وهذا الشكل من التصميت يظهر في نص الممنوعة حيث تقول الساردة:

" – هل أنت متأكد بأن سامية يفتقدها الآخرون؟.

–أمي، نعم أحيانا تبكي أمي وتخفي دموعها، حينما يرى أبي دموعها يصرخ ويقول بأنه لا يريد أن يكلموه عن سامية أبدا.

---

[1] – المصدر السابق، ص 11.

[2] – آمنة بنت عبد الرحمن الجبرين المسهو: المقالة النسائية السعودية، ص 33.

[3] – عصام عدوني: العنف والتمييز ضد المرأة في المغرب، مقاربة سيسيولوجية، ص 59.

-ولو تعود سيقتلها".[1]

يبدو أن عائلة سامية لم ترغب في ابنتهم أن تتعلم في الخارج، فأمها وأختها تفتقدانها، وهما حزينتا على فراقها كونها تعيش في ديار الغربة لوحدها، وهما يكتمان هذا الإحساس الرهيب والمؤلم بسبب الخوف من سلطة الأب والأخوة، فهم لا يريدون سماع أخبارها ولا الرغبة في رؤيتها.

إن النظرة الذكورية للمرأة تراها بأنها خرساء ليس لها أي حق في الكلام " لا يسمح لها بفعل شيء... ومثل المعبودة مثل الصنم ليست سوى كائنات خرساء، لا تفعل شيئا و لا تنطق بشيء".[2]

هكذا فإن تصميت المرأة يظهر توقيعات مختلفة من طرف المجتمع، فهي سلطة ديكتاتورية العادات والتقاليد والعرف التي تمارس على المرأة وهي تترك الرجل في التعبير عن موقفه بينما تترك المرأة في زاوية التصميت، وهذا ما يؤدي إلى إغفال دور المرأة في المجتمع وأيضا تصميتها، وعدم إعطائها حقها في التعبير عن وجودها وإسهامها في إعطاء صورة ديمقراطية مشرفة نابعة من ثقافتها العربية.

" – كيف حدث أن هتفت له هذا اليوم بالذات؟.

-لا اعرف الأرق، كآبة خريفية، العزلة، ريح قوية، ما يعرف بالصدفة.

-هل هو هاجس داخلي؟ تفاهات؟ إن الحنين ورغبة رؤية ياسين استبدت بي منذ مدة، في حقيقة الأمر، إن هذه الرغبة لم تغادرني أبدا، كنت أرجئها أغرقها في رغبات أخرى آنية، ولكنها كانت دائما تطفوا إلى السطح...

-تلقيت كلمة منه قبل أيام قليلة.

-أكرهك بسبب هذا الجفاء تجاه ياسين، أكره انحراف هذا الذي تسمينه حبا".[3]

يبرز لنا هذا القول أن المرأة في الجزائر مورس عليها عدة أنواع من التهميش والصمت من طرف الآخر المهيمن، سواء على الصعيد المادي أو على الصعيد المعنوي فهي لا تستطيع حتى البوح بمن تحب وترضى، فكان حب سلطانة لياسين ظل وبقي بداخلها حتى يوم وفاته.

---

[1] – المصدر السابق، ص 36.

[2] – عصام عدوني: العنف والتمييز ضد المرأة في المغرب، ص 76.

[3] – المصدر السابق، ص 49.

إن ممارسة مختلف أشكال التصميت المفروضة على الأنثى من قبل الآخر/ الرجل والمجتمع والقانون لم يقتصر فحسب في حيز الأسرة، وإنما شمل كذلك مؤسسات التنشئة الاجتماعية والإنتاجية والسياسية المختلفة، كالمدرسة والعمل والإعلام والقطاع الصحي، بحيث منع على المرأة في هذه الميادين المختلفة الإدلاء والتصريح بموقفها، فصمتت وهمشت ومورس عليها بذلك مختلف أشكال التصميت والقمع والعنف وهذا ما يتجلى في نص " الممنوعة " فما هي أشكال التصميت الموجودة فيها؟.

عكس الإبداع الروائي النسوي اهتماما واضحا بالرجل على عكس المرأة التي مورس عليها مختلف أشكال التسلط وحب الإذلال، بحيث انتصر الذكر على المرأة بقسوته وسيطرته، ليؤكد بذلك مقولة أن الذكر هو الأقوى دائما، وكرد فعل لهذا الواقع الذي غيب صوت المرأة وصمتها في زمن طويل، جاءت رواية " الممنوعة" لتتمرد على الوضع من خلال معالجتها لمختلف أشكال التصميت الممارس على الأنثى ونذكر نوعين من هذا التصميت وهما: تصميت غير مباشر/ ضمني، وتصميت مباشر صريح.

3 – 1 تصميت غير مباشر/ ضمني: يندرج فعل التصميت ضمن عالم الصمت حيث يحدث الصمت عندما يتعلق الأمر بجنس المرأة، وذلك عن طريق توظيف صيغة المبالغة، فتفعيل الصمت يتحول إلى تصميت متعمد تتعرض إليه المرأة من قبل الآخر، وهذا تجسد في نص الممنوعة " ولدت في درب القصر الوحيد درب بلا اسم، تلك الفكرة الوحيدة التي انتابتني أمام هذه الفيافي، التي غطت ارتباكي بشلال من الضحكات الصامتة... و الحزن الشديد إلى جسمي المهجر".[1]

يوضح لنا هذا القول بان " سلطانة " لا تصرح بصمتها بشكل مباشر صريح بل بشكل غير مباشر (ضمني)، فهي عاجزة عن التعبير عن مشاعرها المتداخلة أثناء عودتها إلى قريتها، والأمر نفسه نجده في مقطع آخر: " أمقت هذا الصمت الذي يتفجر فيه اللا مسمى، رغبت لو استطعت أن أصرخ، أصرخ توقف التنفس ولم أجد بداخلي نواحا ولا حتى كلمة..."[2]

[1] – المصدر السابق، ص 07.

[2] – المصدر نفسه، ص 07.

" فسلطانة" عجزت عن التعبير عن حزنها وألمها إثر وفاة " ياسين" فبقيت صامتة وحزينة، تخفي ما بداخلها من رغبة في الصراخ والبكاء.

وفي موقف آخر من الرواية تقول الساردة: " تكسر الزمان تحت ضغط الهروب، القطيعة، الغياب والمنفى، ماذا بقي بعد هذه الرحلة؟ ركام من المخاوف المتاع المحتوم لكل مرتحل، ولكن الزمان، حينما يقترن بالمسافة يعلم ترويض أسوء الهواجس، ينتهي بنا الأمر إلى تعايش الجلد نفسه بأقل تمزق ممكن، أحيانا نتمكن من التخلص منها ليس في أي مكان، إلا في قمة الإحساس بالذنب في أعماق سر الندم، زاوية المنفى...".[1]

"فسلطانة" هنا أيضا لم تصرح بصمتها المكتوم بشكل مباشر بالرغم من الألم والحزن والأسى، وظروف سفرها، وألم الغياب والمنفى الذي عاشته عند مغادرتها لقريتها " عين النخلة" وترك عائلتها رغما عنهم وهي في سن المراهقة حيث لم تستطع البوح وبقيت صامتة على سرها من كل هذه الهواجس الرهيبة، فتقول إن الزمن هو الكفيل بترويض كل هذه الأحاسيس من ذنب وندم اللذ ين يعيشان في أعماق كيانها، كل هذا بقي سرا في زاوية المنفى.

وبالإضافة إلى هذا فالمرأة تبقى عاجزة عن التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها المكبوتة خوفا من ردة فعل الآخر وتحتمل الإذلال والعذاب، لأنها تتقبل اللوم من طرف ه،حيث يستغل السلطة الممنوحة له من طرف المجتمع وكذا العادات والتقاليد البالية فيصمتها على أساس انه رجل والمرأة عنده عبارة عن كيان يحركه كيفما يشاء بحكم ضعفها وقلة حيلتها.

" جاءتني أول الشهيات عن طريق سماع الأنغام، الأصوات الصمت والريح، ضاعفت كلها قدراتي على السماع، نفخت بداخلي نفحة هواء منفذه، بعد ذلك تواصلت كلمات قراءتي الخاصة، قطرة بعد قطرة من الضياء والمعاني على معالي المضطهد الحبيسة في فوضاها، لذلك فرغم الغثيان الذي أشعر به اتجاه الحياة، والذي لا يكاد يقهر، رغم الجنون المتشبث دوما على حدود رفضني، غن هذه العلاقة الدقيقة مع الواقع اليومي جذرني في حياة، على حدود الواقع، اقتات منها، لمدة طويلة".[2]

[1] – المصدر السابق ، ص 07

[2] – نفسه ، ص 45.

فسلطانة في هذا المقطع من الرواية تحمل أحاسيس حبيسة وهي في فوضى غير مرتبة، فشهوتها تأتي عند سماع الأنغام، حيث تتفتت بداخلها مشاعر كثيرة تسبح وتطفوا ولا تستطيع اضهارها للعيان، فصمتها تجاه شهواتها قاتل يشعرها بالغثيان ويقهرها حيث تقول أنه جنون متشتت يعيش في داخلها وتقتات منه لفترة من الزمن.

وفي مقطع آخر تقول: " تقولين بأنك لا تعيشين إلا بأحاسيسك؟ "والو"! غن صمتك نفسه محسوب وموزون، لا تعرفين الحديث مقل الجزائريين الحقيقيين، نحن نتكلم كي لا نقول شيء نثرثر لقتل الوقت، نحاول التخلص من الضجر، أما بالنسبة إليك، فالضجر في مكان آخر، الضجر هم الآخرين، لديك صمت المبدعين، صمت الأثرياء، صمت مليء بالكتب، بالأفلام... أما نحن، فإن أحلامنا الجائعة حفرتنا، نتكمش أسفل الجدران لتحاطي القدح، ضخما لنقاوم في جزائر صامتة عرضة لكل العفاريت المختفية..."[1]

إن صمت سلطانة صمتها ليس عشوائيا إنما هو صمت متوازن تعيشه بكل أحاسيسها لا تستطيع الحديث عنه ....الآخرين، فهي تستعمله أثناء الحاجة، فالصمت الموجود بداخلها مبدع مليء بالأفكار لا تستطيع البوح به.

3 – 2 – تصميت مباشر (بشكل صريح):

يظهر هذا النوع ممن التصميت في نص " الممنوعة" وذلك على لسان بطلتها " سلطان" مشكلة تصميت الأنثى من الجانب العاطفي، من طرف العادات والتقاليد وطبيعة الثقافة الاجتماعية لقريتها " عين النخلة" حيث تقول: " أضحت تهديدات وممنوعات الجزائر تحدث في نفسي هلعا لا مثيل له، لذلك هربت من كل شيء، هرب غير معقول حينما أحسست بزوغ كوابيس أخرى.

-كيف يمكن بزوغ كوابيس أخرى.

— كيف يمكن تأويل صمتك؟.

-مثل جواب، مقل دفاع مفتوح أمنغلق....

[1] – المصدر السابق، ص 49.

— ...هل يكون الشعور بالعدم إفراطا؟ الأرجح أنني بين اثنين بين التواضع والازدراء... بين ضغط الرفض والتشتت اللذين تمدهما الحريات، بين اغتراب العصر والهروب عن طريق الحلم والخيال...".[1]

تصرح سلطانة بأنها خائفة من كل التهديدات التي تختلج في نفسها، خائفة من كل الممنوعات، حيث تهرب من كل شيء وكل ما يحيط بها من الكوابيس والتصميت ومن الحلم والخيال حين تكسر الصمت بعدم إفراطها على نفسها. وفي مقطع آخر تقول: " الحب على الطريقة الجزائرية ما كانش! ما كانش! أدخلوا في مشنفة الحرام ولكنك أنت المرأة الحرة...". [2]

وكان سلطانة تصرح بأن الحب وثقافته منعدم في الجزائر منعدم حيث لا وجود له.

[1] – المصدر نفسه، ص 47.

[2] – المصدر السابق، ص 49.

تمهيد:

تعتبر حرية المرأة مسألة شائكة ومعقدة لأنها ترتبط بمجموعة من القضايا التي تمس الحياة العامة في المجتمع، فهذا ما دفع بالنساء المبدعات بصفة خاصة، إلى المطالبة بالتحرر، ذلك لأن" النساء يواجهن قدرا كبيرا من التمييز العنصري، وعدم المساواة من طرف السلطة الأبوية، وبالإضافة إلى سيادة العادات والتقاليد البالية التي تقف عائقا وحاجزا أمام تحقيق المساواة والحرية الكاملة لها في مختلف مجالات الحياة. " لا شك أن المرأة قد عانت لعصور طويلة من الظلم والاضطهاد والقهر والاستبداد والتشريعات على مرّ التاريخ".[1]

إن الاستغلال والاستبداد اللذان تعرضت لهما المرأة من قبل الآخر، كان السبب الرئيسي الذي دفعها للمطالبة بحقوقها المسلوبة منها، وذلك بدعوتها إلى تحررها من القهر والظلم والتهميش الذي سببها الآخر.

وقد عرفت " دي بوفوار" المرأة بأنّها: " كائن إنساني ولها حرية مستقلة، وهي تكشف نفسها، وتصطفي ذاتها في عالم حرص الرجال فيه أن يلعب دور جنس آخر".[2]

والأمر نفسه نلمسه كذلك عند المبدعات اللواتي اتخذن من الكتابة أداة للتحرر من قيود فرضها عليهن المجتمع " إن الكتابة عند المرأة هي تحرر ثقافي، ونمو لوعي يسمح لها بالتمتع بالمساواة والعدالة، وكسر تلك التبعية للرجل، وذلك من خلال إبداعها سواء في الشعر أو القصة أو الرواية، والمنطلق لذلك هو تحرير أنوثة محرومة مقيدة تائهة ضعيفة تشعر بالضياع مكسورة الجناح في مجتمع يشوبه الارتباك".[3]

---

[1] – نبيل الحيدي: حرية المرأة وتحريرها فكريا وعمليا، جريدة إيلاف، العدد 4582، إيلاف للنشر المحدودة، 2013.

[2] – سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، ص 312.

[3] – سمراء جبايلي: الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، "رواية السيرة الذاتية لمليكة مقدم أنموذجا"، مذكرة ماجستير، إشراف: معمر حجيح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ص 156.

فللكتابة وسيلة تتخذها المرأة للتحرر من تبعية للرجل التي لازمتها " فلن يصبح تحرر المرأة أمرا ممكنا وحقيقيا إلا عندما تستطيع المشاركة في نطاق اجتماعي كبير لها دور في الإنتاج، ومتى أصبح العمل المنزلي لا يأخذ من وقتها إلا قدرا ضئيلا فقط".[1]

لتتمكن المرأة من تحقيق حريتها يجب عليها تجاوز الفكرة المشكلة حولها من قبل الآخر على أن مكانها الأصلي في المنزل فقط وبالتالي فهي ممنوعة من الخروج عنه، ولهذا السبب يجب على المرأة أن تشارك في العمل الإنتاجي خارج المنزل لتحقق بذلك حريتها.

وبالإضافة إلى هذا فقضية تحرر المرأة تعتبر من القضايا والمو ضوعات المسكوت عنها من قبل المجتمع". ثمة حالة من التماهي الموضوعي مع الاضطهاد والمضطهدين من قبل مشاعل التحرر والحرية، وتلك مشكلة مستدامة تكونت وأصبحت في عداد القضايا المسكوت عنها، والتي تحولت بمرور الوقت إلى أحد العوائق والحواجز الذاتية التي تكبح التحرر الاجتماعي وفي المركز منه تحرر المرأة".[2]

إن مختلف أشكال القمع والعنف والاضطهاد والتمييز التي مورست على المرأة من قبل الآخر، قوبلت في المقابل بخطاب ينادي بحق المرأة في تقرير مصيرها، وبالتالي تحقيق حريتها " حيث يبرز في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، خطاب نهضوي ينادي بحق المرأة في الحياة الكريمة، ويعد "قاسم أمين" رائد حركة تحرير المرأة المسلمة وذلك بنشره لكتابه الأول " تحرير المرأة " في سنة 1899."[3]

إن التهميش والاضطهاد ال لذان مورس على المرأة من طرف الآخر كان نتيجة عوامل اجتماعية كانتشار الطبقية التي تعطي للرجل القوة والسيطرة على المرأة، فهذا كان السبب دون تحقيقها الحرية.

فمن خلال هذا الواقع الذي لا يعترف بحق المرأة في نيل الحرية، ظهرت على الساحة الأدبية نساء مبدعات حيث شغلت معظم أعمالهن الإبداعية حيزا كبيرا في التعبير عن واقع الأنثى الحاملة

[1] – مهند عبد الرحمن: الطريق على تحرر المرأة، ص 18.

[2] – المرجع نفسه، ص 14.

[3] – سامية داودي: صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، أطروحة الدكتوراه، إشراف: بوجمعة شتوان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 177.

لشعار الحرية والتحرر من سلطة الخضوع للرجل، وهذا يتحقق عن طريق إنتاج خطاب يعمل على تغيير البنية الثقافية التقليدية التي تقمع الأنثى وتهمشها، فهذا الوضع دفع بالمرأة المبدعة خلال لغتها المعبرة عن قضاياها المختلفة، ومن بين الأسماء النسوية الجزائرية اللواتي طالبن بحريتهن نجد الروائية " مليكة مقدم" التي أكدت عن استمرارها في البحث عن الحرية، وتحدي العادات والتقاليد في مجتمع لا يؤمن باستقلالية المرأة، حيث تقول في روايتها " الممنوعة" على لسان بطلتها سلطانة: " سلطانة امرأة حرة متعلمة".[1]

إن التحرر هو الذي يحقق للفرد وجوده في جميع جوانب الحياة المختلفة: " ينبغي لنا إذا ما أردنا أن نضرب بسهم في هذه الحياة الجديدة أن تتحرر من التقاليد ومن الأفكار الع تحقق التي أصابها الانحلال والفساد".[2]

يجب على الفرد أن يتحرر من التقاليد والأفكار البالية القديمة، ليثبت بذلك على أنّه عضو فعال في المجتمع له دور مهم فيه، لا يمكن الاستغناء عنه.

-المبحث الأول: سبل تحرر المرأة من الهيمنة الذكورية.

تعد المرأة عنصرا مؤثرا وأساسيا في بناء المجتمع، فعلى الرغم من الأهمية الكبيرة التي تمتلكها إلّا أنها همشت ومنعت وأقصيت من تأدية دورها كعضو فعال في المجتمع، وهذا من قبل الآخر / الرجل والمجتمع، فهذا التهميش والإقصاء اللذان تعرضت لهما المرأة كانا السبب الأول الذي دفعها إلى مواجهة هذا الواقع والمطالبة بتغييره، وذلك عن طريق اتخاذها لعدة وسائل مختلفة، تنادي من خلالها بتحررها، وهذا ما نلمسه في نص " الممنوعة " الذي فيه دعت الروائية " مليكة مقدم" إلى تحرر المرأة، عبر طرق كثيرة ارتبطت بسياقات كثيرة في النص منها:

1 - العمل:

إن حق العمل هو أمر لا جدال فيه، ولا مانع منه باعتباره وسيلة الرقي والتطور والتقدم، والاستقرار المادي واثبات الذات كذلك، وهو بذاته عامل من عوامل التحرر، الذي اتخذته المرأة كأداة لتستقل بذاتها عن الرجل الذي كانت تابعة له منذ زمن طويل: " إن حق العمل هو حق

[1] - المصدر السابق، ص 17.

[2] - إسماعيل مظهر: المرأة في عصر الديمقراطية، ص 200.

مكفول لكل البشر بلا استثناء سواء كانوا رجالا أو نساء... فلا يجوز أن تحرم المرأة من حقها في إثبات قدرتها من خلال العمل، كما لا يجوز أن تحرم الوطن من عطائها باعتبارها نصفه الآخر... إذ لا يعقل أن تكتفي المجتمع بنصف قدراته من الرجال، فيتطلع نحو المستقبل بنصف رؤية... ويخطو إلى الأمام بقدم واحدة... ويفكر بنصف عقل... ويبدع بنصف موهبة".[1]

نستشف من هذا الملفوظ أحقية المرأة في العمل مثلها مثل الرجل فلا يجب تمييزها عن ذلك لأنها تلعب دور كبير في بناء ذاتها وتحررها من الآخر.

إن موضوع العمل عند المرأة حاضر في نص " الممنوعة" وذلك ممن خلال ما يصدر عن بعض الشخصيات " إن النساء هن كلهن مقاومات يعرفن بأنهن لا يقدرن على مواجهة مجتمع ظالم ووحشي في اغلبه، بشكل مباشر لذلك سلكن دروب المعرفة والعمل".[2]

يوضح هذا الملفوظ أن العمل هو الذي يضمن للمرأة حريتها واستقلاليتها في جميع ميادين الحياة المختلفة، لتؤكد بذلك أنها لن تظل عالة على الرجل والمجتمع.

إن للمرأة مثلها مثل الرجل يمكنها مزاولة أية مهنة قد يمارسها الرجل كالطب مثلا: " للمرأة الحق في مزاولة الأنشطة في القاعات الصحية، وفي مختلف فروعها وتخصصاتها فهي بذلك تقوم بواجب يخدم الفرد والمجتمع، على حد سواء بغض النظر على أنها تتقاضى عليه أجرا ومساهمتها في قوة العمل يحقق لها تطورا في أوضاعها الاجتماعية وراحة في حالتها النفسية، وتحسينا لقدرتها الاقتصادية، إضافة إلى أية مؤشر إيجابي عن مدى إسهامها في عملية الإنتاج.[3]

إن مهنة الطب حاضرة في الرواية مع شخصية البطلة سلطانة التي مارستها رغم ضغوطات وتهديدات رئيس البلدية " بكار" لها: " تعالي معي إلى الدزاير أو اذهبي إلى وهران، إذا رغبت في ذلك بدت لي أنها تفكر وتقاوم ضد نفسها خلال فترة طويلة قبل أن تهمس:

---

[1] – مجدي شلبي:حق المرأة في العمل، جريدة الرياض، العدد 14431، سعودية، 2007.

[2] – المصدر السابق، ص 139.

[3] – دودو نعيمة: تأثير عمل المرأة على معدلات الخصوبة، دراسة ميدانية بجامعة فرحات عباس، سطيف، مذكرة ماجستير، إشراف: حفاظ طاهر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2010، ص 45.

ينبغي أن أعود إلى مونبولي، تكفيني أيام قليلة كي أرتب أموري، أجد مستخلفا لعبادتي، لغياب أظن أنها سيطول هذا المرة، أتمنى أن تسمح لي هذه القطيعة بتمييز أفضل، ربما كان عليّ أن أعود ثانية، وإلا كيف سنتخلص من قلق الذهاب بلا تحرير، من التيه بلا وصول، بفقدان الوجود التي تخبط وتحرق الذاكرة، من طغيان بلد استبدل دوما عواطفنا وحبنا بالرعب والندم ونددد بكل آمالنا وسجن الجهد إلى العزلة، وحول النجاح إلى ضيق؟...ولكني سأعيد النظر في كل هذا بشكل هادئ في مونبولي، سأخبركم بذلك".[1]

وفي مقطع آخر تقول البطلة: " أراد ملتح أن أداويه دون الحاجة إلى الفحص، كلمني بصراحة، مثبتا عينيه في الجدار الذي وفق رأسي.

-أنا طبية، مانيش سحارة، لازم الفحص.

-أنت امرأة حاشاك، ما اتمسينيش، حرام...".[2]

وتقول في مقطع آخر: " أطعمته بإبرة قوية من الاكستونسيلين، حقنة مؤلمة بسبب الدواء نفسه، ربما أن المريض عادة يعتبر مقدار الوجع متساويا مع مقدار العلاج المنتظر".[3]

بفضل مهنة الطب تمكنت البطلة سلطانة من إثبات ذاتها أمام هيمنة وسلطة المجتمع الأبوي وبالتالي تمكنت من التحرر من القيود التي وضعها لها.

" للمرأة الحق في العمل وفي حرية اختيار المهنة، ونوعية العمل الذي تريده".[4] إن المرأة غزت كثيرا من ميادين الحياة، وزاحمت الرجل، فأصبحت المحامي والطبيب والمعلم الماهر والفنان الموهوب والممرض الحنون بينما كانت تعيش من قبل على هامش الحياة مقابل الآخر الذي احتل المركز " جاءت المدرسة والقابلة خصيصا للتضامن معك، لم يسمح لهما عملهما بالبقاء لمدة أطول، ولكنهما طلبتا منا أن نبلغك بمساندتهما المطلقة لك".[5]

---

[1] – المصدر السابق، ص 168.

[2] – المصدر نفسه، ص 130.

[3] – نفسه، ص 130.

[4] – ندى بنت عطية بن راشد الزهراني: مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي، دراسة نقدية، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الله بن محمد العمرو، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، السعودية، 2007، ص 35.

[5] – المصدر السابق، ص 176.

إذن العمل هو الذي يحقق للمرأة استقلاليتها وحريتها ومن خلاله تثبت ذاتها في المجتمع " لن يصبح تحرر المرأة أمرا ممكنا، إلا متى استطاعت أن تشارك على نطاق اجتماعي كبير في الإنتاج، ومتى أصبح العمل جزء لا يتجزأ من الإنتاج الاجتماعي".[1]

إن مشاركة المرأة ومساهمتها في الإنتاج في مختلف المجالات يحقق للمرأة حريتها إن التاريخ يبرز لنا حق المرأة في العمل وأهمية الدور الذي تؤديه من خلاله " إن مهمة القابلة " المولدة" هي أول مهنة زاولتها النساء على وجه الأرض، فهي بدأت بمولد أبناء آدم (ع–س)، فحواء بلا شك هي أول طبيبة قامت بمزاولة مهنة توليد نفسها، ثم قامت النساء بعد ذلك بتوليد أنفسهن وتوليد غيرهن".[2]

تمكنت المرأة بنجاح في إثبات نفسها في الحياة العملية، سواء داخل المنزل أم في الخارج " إن المرأة العاملة تؤدي أكثر من دور في حياتها اليومية، فهي الزوجة والعاملة في ميدان العمل فهي ربة المنزل والقائمة بأعماله، إضافة إلى دورها الأساسي والرئيسي في التربية والإنجاب".[3]

يبرز لنا هذا القول إن المرأة لعبت أكثر من دور في الحياة فهي بذلك تساهم في تطور المجتمع، وبالتالي فهي تصبح بذلك منافسا للرجل الذي همشها والذي حال دون تحقيق حريتها " إن التحرر الجزئي للمرأة الذي ظهر في انتقالها من مجرد حارسة للبيت إلى ان تصبح منافسا قويا للرجل في ميدان الصناعة والتجارة وغيرها من المهن، كانت له انعكاسات إيجابية بناءة، فالعمل خارج المنزل يساعدها للقيام بدور تنشيط من خلال المساهمة في تطوير المجتمع، وفي تطوير شخصيتها سيكولوجيا، فالعمل الخارجي يساعدها على تحقيق غايتها والوصول إلى أهدافها المرجوة".[4]

---

[1] – مهند عبد الرحمن: الطريق على تحرر المرأة، ص 18.

[2] – زكي علي السيد: عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 2007، ص 27.

[3] – أمال حمدي شحادة الكحلون: دراسة مقارنة للتوافق النفسي والاجتماعي لدى العاملات في المؤسسات الخاصة في مدينة غزة، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011، ص 55.

[4] – آمال حمدي شحادة الكحلول، ص 62.

نستشف من هذا القول إن تحرر المرأة مرتبط بمدى اشتراكها في العمل الإنتاجي في شتى الميادين.

إن حرية المرأة مرتبطة بتحقيق المساواة بينها وبين الرجل في العمل" فمن المستحيل ان تتحقق الديمقراطية والحرية الحقيقية، دون المشاركة الكاملة الفعالة للمرأة في العمل". نلاحظ أن مفهوم الديمقراطية الحقيقي تتجسد عندما تكون هناك مساواة بين المرأة والرجل في العمل، والملاحظ أنه في بعض الأحيان تكون المرأة هي الأجدر بأن تكون صاحبة القرار والقيادة في العمل.[1]

إن مساهمة المرأة في الحياة العملية يؤدي بها إلى المشاركة في بناء المجتمع وفي تغييره لكي تحقق بذلك حريتها.

2 – المرأة كصوت معترف به سياسيا:

لقد تابعت المرأة نضالها السياسي من خلال إقامة أحزاب سياسية وجمعيات، والتي أعلنت من خلالها، عن إيمانها الكامل بمساواة المرأة والرجل في الدستور والقوانين، وكما قامت كذلك بمظاهرات عديدة للمطالبة بحريتها في التعبير والمشاركة السياسية، لأنها همشت واستبعدت عن المجال السياسي خاصة المرأة العربية " ما تزال مشاركة المرأة في الحياة السياسية العربية قاصرة ومحدودة فالمواقع التي تحتلها المرأة هامشية سواء في المجالس النيابية، والحكومات أو الأحزاب السياسية ودورها في صنع القرار السياسي يكاد منعدما".[2]

فوعي المرأة بضرورة إدماجها في صنع القرار السياسي هو الذي دفعها بأن تعبر عن موقفها إزاء بعض المواضيع والمسائل السياسية، وذلك عن طريق تضامن النساء فيما بينهن، مثلما يظهر في مقطع من الرواية: " يجب أن نتحدث معا، ان نتحدث عن وضعنا البائس، أن نتضامن فيما بيننا إذا كان لازما نحن مستعدات لحمل السلاح! يا ابنتي يد واحدة ما تصفق".[3]

إن معاناة نساء قرية " عين النحلة" من القهر والظلم دفعهن إلى التحاور مع سلطانه من أجل الوصول إلى حل للتخلص من السلطة المفروضة عليهن من قبل الآخر" إن سلطة الرجل ما زالت

[1] – هيفاء أبو غزالة: المرأة العربية والديمقراطية، مصر الجديدة، مصر، ط1، 2014، ص 300.

[2] – المرجع نفسه، ص 66.

[3] – المصدر السابق، ص 176.

تؤثر على قرار المرأة، ولتجاوز ذلك لابد من توعية المرأة سياسيا بالمعنى الواسع للتغيير بما يكسبها احتراما، وكذلك التوعية الانتخابية وتوعيتها أيضا بالفرص التي تمنحها لها العملية الديمقراطية لفرض خياراتها الحياتية الخاصة بها والتحرر من عبوديتها في القرار والخيار".[1]

لتتمكن المرأة من تجاوز السلطة السياسية التي احتكرها الرجل لمدة زمنية طويلة وقام بتغييبها فيها، يجب على المرأة أن تتمتع بوعي سياسي لتتمكن من التحرر من العبودية والتبعية السياسية له.

" حيث تعلن المرنيسي صراحة في مقدمة كتابها الموسوم " الحريم السياسي" إن إشكالية تحرير المرأة هي في النهاية إشكالية سياسية، فدونية المرأة لا تمت إلى حقيقة الإسلام كنص بل إلى الإسلام السياسي التاريخي والذي هو عبارة عن تراكمات مختلفة لمعارف وخبرات إسلامية وغير إسلامية تمتد إلى العصر الجاهلي وصولا بها إلى العصر الحاضر".[2]

فرئيس البلدية " بكار" وأعوانه من السلفيين الذين اتخذوا من الدين وسيلة وأداة لممارسة مختلف أشكال القمع والعنف والاضطهاد على سلطانة مجاهد بصفة خاصة وعلى نساء القرية بصفة عامة، فالمرنيسي ترفض أن يربط الدين بمشاكل سياسية لها علاقة بالمرأة، فهي تذهب إلى القول بأن حرية المرأة هي إشكالية سياسية، ليس لها علاقة بالدين الإسلامي.

إن وعي المرأة بضرورة المطالبة بحقوقها السياسية هو الذي دفعها إلى القيام بمظاهرات وجمعيات تنادي من خلالها بالحرية والتحرر، وهذا ما نجده في مقطع من الرواية " عند مغادرتنا المستشفى في منتصف النهار شكلنا وفدا حقيقيا لا تنقصنا إلا الأعلام واللافتات، الشعارات تدق في الرؤوس، أغلق خالد وثلاثة رجال أقوياء المسيرة، استقبلتنا زينب زوجة خالد، حول قصعات الكسكسي، انطلق النقاش من جديد متحررا تملك بعضهن قدرات تمثيل وتقليد رائعة، تسخر من آلامهن ومن بؤسهن وتزخر عيونهن بدموع ماكرة".[3]

---

[1] – خالد وليد محمود: المرأة العربية والعمل السياسي، جريدة الوسط، مشروع منبر الحرية، العدد 2694، الأردن، ص 02.

[2] – أمال موهوب: صوت المرأة في زمن الصمت، فاطمة المرنيسي أنموذجا، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، قسم الآداب والفلسفة، جامعة الجزائر، ص 52.

[3] – المصدر السابق، ص 176.

الأمر نفسه نجده في مقطع آخر: " طلبت المجاهدة القديمة الصمت، واقترحت إنشاء جمعية، هاهن مصممات، شيئا فشيئا، أدرك بأن المبادرة ليست عفوية إنني أحضر اجتماعا منتظرا ومحضرا له، إن حضوري في القرية لم يفعل ألا بتعجيل المبادرة المحتضنة منذ مدة".[1]

نستشف من هذا القول بأن وعي النساء بضرورة تحررها من القمع والاستبداد الممارس عليها من رجال السلطة السياسية أمثال " بكار" وتابعه " على مرباح" كان السبب الذي دفع بهن إلى إنشاء جمعيات وتنظيم مظاهرات للمطالبة بحريتهن سياسيا.

" فثمة دور كبير للفكر في تنشيط وتعجيل عمليات التفاعل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وفي نشر ثقافة التحرر".[2]

يظهر لنا هذا القول إن اتخاذ المرأة للجانب الفكري ساهم في شكل كبير جدا في وعيها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فحملت رسالة شعارها ضرورة التحرر من الآخر لممارسة حقها في الاشتراك في العمل السياسي بشجاعة وقوة متحدية بذلك كل العراقيل والصعوبات.

إن تهميش المرأة من قبل الآخر كان السبب الرئيس الذي أدى إلى ظهر أ قلام نسائية تنادي بضرورة إدماج المرأة سياسيا مثلها مثل الرجل، فهي أيضا لديها الكلمة والدور في هذا المجال: " فكل متتبع للخطاب النسوي، يجد أن المرأة تشغل حيزا كبيرا منه، وذلك من خلال التعبير عن واقع الأنثى الحاملة لشعار الحرية والتحرر من الخضوع لسلطة الرجل، والقصد من ذلك إنتاج خطاب بعمل على تغيير البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية المشوهة المبنية على أفكار ورؤى تقليدية بالية وبدائية الطابع الفني.... لا تؤمن إلا بسطو ة وسلطة الرجل في مختلف جوانب الحياة، فقد حاولت المرأة المبدعة تجاوز هذا عن طريق إنتاج خطاب خاص بها."[3]

نلاحظ أن أساس النظرية النسوية يتمثل في الدعوة والمطالبة بالمساواة بين المرأة والرجل سياسيا واجتماعيا واقتصاديا من أجل إثبات ذاتها الأنثوية المهمشة من طرف الآخر، فالمرأة الجزائرية مثلا استطاعت أن تثبت نفسها في الساحة السياسية بجدارة فأصبحت تشغل مناصب

[1] – المصدرنفسه ، ص 180.

[2] – مهند عبد الرحمن: الطريق على تحرر المرأة، ص 67.

[3] – عبد الرحمن تيرماسين وآخرون: السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، ص 87.

مهمة في الدول الجزائرية " إن المرأة الجزائرية استطاعت ان تقتحم وتشغل مناصب عامة في المجال السياسي، وتحت هذا اللواء تطالب المرأة في العصر الحالي بحقوقها كاملة غير منقوصة، منها المساواة والعدالة التامة مع الرجل... وحق الممارسة النيابية".[1]

فوعي المرأة الجزائرية بضرورة تحررها سياسيا هو الذي أدى بها إلى اقتحام هذا المجال لتسترد بذلك حقوقها المأخوذة منها لعقود طويلة من الزمن رغم رفض الآخر لهذا.

من خلال كل هذا نتوصل إلى القول بأن الروائية " مليكة مقدم" أكدت في روايتها " الممنوعة " بواسطة الساردة عن استمرارها في البحث عن الحرية السياسية في مجتمع لا يؤمن باستقلالية المرأة حيث تقول " سلطانة امرأة حرة متعلمة".[2]

فسلطانة تقاوم ببسالة وقوة وترفض أن تكون ممنوعة وسط قريتها، لأن مدة غيابها عن " عين النخلة" جعلها تقرر بضرورة مقاومتها ومصارعتها للكل، بكل حدة وقوة دون استسلام وذلك لكي تسترد حريتها وحرية نسوة القرية المسلوبة منهن منذ زمن بعيد من قبل الآخر/ الرجل والمجتمع، وذلك بوسائل مختلفة لتحقيق ذلك سواء من الجانب العملي أو التعليمي أو المشاركة في مظاهرات سياسية.

3 – التعليم:

يعتبر التعليم حق مشروع لكل فرد من أفراد المجتمع فهو وسيلة لتطور وتقدم الفرد والمجتمع على بناء مستقبل ناجح، كما يعتبر عاملا من عوامل التحرر خصوصا عند المرأة الذي اتخذته كأداة لتستقل بذاتها، وتتخلص من تبعية الرجل التي لازمتها لمدة زمنية طويلة.

ونظرا للأهمية الكبيرة التي يؤديها التعليم بالنسبة للمرأة، أصبح من القضايا الجديرة بالاهتمام من قبل المبدعات، حيث تناولت أعمالهن الإبداعية المختلفة مسألة التعليم وعلاقته بالتطور الفكري عند المرأة، ومسألة إدماجها اجتماعيا بعدما كانت مهمشة ومقصاة من تأدية دورها الفعال في المجتمع، فهذا التهميش والإقصاء الذي تعرضت له المرأة كان الدافع الأول والرئيسي الذي دفع بالمبدعات إلى التطرق لمسألة تعليم المرأة على أساس انه وسيلة تحرر، وهذا ما نجده عند الروائية

[1] – دودو نعيمة: تأثير عمل المرأة على معدلات الخصوبة، دراسة ميدانية بجامعة فرحات عباس، ص 45.

[2] – المصدر السابق، ص17.

" مليكة مقدم " في روايتها " الممنوعة" أين عالجت فيها مسألة تعليم المرأة الجزائرية ومختلف الصعوبات والتحديات التي واجهتها في ذلك، وهذا ما نلمسه في عدة شخصيات في الرواية.

"... جاء ذلك الطبيب يأخذك، أوقف سيارته في ساحة القصر، رأينا كما وأنتما تخرجان من الدرب، كان يحمل حقيبتك وبعينيك رعب قطيع، فظيع، التف حولك الأطفال، وكذلك الرجال والنساء، كان هناك صمت رهيب، وقبل أن تصعدي داخل السيارة، التفت وتجولت بعينيك على وجوه الجميع، قم أقفت بصرك على بكار وقلت بصوت خشن: (أنت وجماعتك زريعة مسوسة أنا سأذهب للدراسة وسأكون أقوى من كل نذالتكم، من كل سفالتكم، أنظر إلى أيها القذر! سأعود يوما وسأقولها لك ثانية). نعم قلت هذا وكررت كلمة أيها القذر...

-حينئذ قالت إمرأة تحت الحايك: (إنها شجاعة هذه الصغيرة، يعطيها الصحة!)."[1]

يبرز لنا هذا القول تحدي "سلطانة" المباشر لرئيس البلدية بكار وجماعته أثناء مغادرتها قريتها " عين النخلة" متجهة إلى فرنسا وبالتحديد مدين ة مونبوليي لمواصلة دراستها. فسلطانة جعلت من التعليم مصدر قوة وإلهام لها، حيث تواجه به هيمنة " بكار" وأعوانه، فهي تعلن بذلك عن تحررها من هذا المجتمع الذكوري الظالم الذي استبدها واستولى على حقوقها كاملة، وذلك بانتهاجه لعدة وسائل قمعية التي تقف حاجزا أو عائقا أمام مواصلة سلطانة لدراستها، ينظر إلى المرأة نظرة دونية متخلفة لذلك لم تحظى بأي اهتمام لرفع أو تحسين مستواها الثقافي والاجتماعي".[2]

نتوصل من خلال هذا القول أن تدني مستوى التعليمي للمرأة جاء نتيجة عدة عراقيل وحواجز وصعوبات وضعها الآخر لها، كمنعها من الذهاب إلى المدرسة ومزاولة تعليمها مثلها مثل الذكر.

" ...أما أخوتي لا يفكرون فيها ألا لشتمها أحيانا، يقولون لي:

-أنت تذهبين إلى المدرسة لن نتكرك تفعلين مثل سامية!.[3]

هذه الظروف والمعاناة التي تواجهها المرأة في ظل المجتمع الذكوري المتسلط، دفع بها نحو التصدي والصمود والمواجهة من خلال التعليم الذي اعتبرته وسيلة تحرر ينقذها من هذه العبودية

---

[1] – المصدر السابق، ص 181.

[2] – على الموقع: طلال مشعل: ماهو دور المرأة في المجتمع، http://mowdoo3.com، 2015/02/24. 9.15.

[3] – المصدر السابق، ص 37.

التي لازمتها طويلا: " على المرأة النهوض بأوضاعها وتعزيز مكانتها ودورها وضمان حرية الفكر والتعبير، وكذلك تدعيم قدرتها في البناء التنموي والقدرة التنافسية وتحقيق التكافؤ بينها وبين أفراد المجتمع".[1]

يؤكد لنا هذا الملفوظ ضرورة تعزيز مكانة ودور المرأة في المجتمع وذلك عن طريق منحها حرية التعبير والتفكير ومحاولة تحقيق فرص التكافـؤ بينها وبين الرجل، خاصة في مجال التعليم لأنه يعتبر بوابة تحرر خاصة بالنسبة للمرأة التي سعت من خلال التعليم إلى فك القيود التي كبلتها على امتداد قرون، وذلك بإثبات وجودها في شتى المجالات والميادين لتصبح بذلك احد حصون وأسس الحداثة وعاملا أساسيا ومهما للنهوض بالمجتمع والرقي والتقدم.

" فتحرر المرأة يعتمد على ممارستها للنشاط الفكري الذي يمكنها في العمل في ميادين مختلفة وفي إحداث التغيير والتحول الاجتماعي والاستقلال عن الرجل الذي يعتبر مفتاح التحرر".[2]

يتحقق تحرر المرأة عندما تستطيع ممارسة نشاطها الفكري بكل حرية، وبالتالي المشاركة في نطاق اجتماعي كبير في الإنتاج، لتعلن بذلك عن استقلالها الاجتماعي عن الرجل، " منذ خمس سنوات؟ إنها مدة طويلة، خمس سنوات، أليس كذلك!

–نعم، لهذا أجتهد لأتعلم الفرنسية، حينما أخرج من المدرسة، اذهب إلى در وردة.

–نقول: أستاذة.

–نعم أستاذة، اكتريت نفسي عندها...لكي تعلمني".[3]

–إن وعي المرأة بضرورة تحررها من كل أشكال الاستعباد والظلم الذي تعرضت لهما من طرف الآخر دفعها إلى الانخراط في مجال التعليم لتعبر بذلك عن حريتها كعضو أساسي في بناء وتكوين المجتمع لا يمكن الاستغناء أو التخلي عنه.[4]

---

[1] – على الموقع: نعمان عبد الغني، مكانة المرأة الإنسان في المجتمع العربي، http : // www.ettwhed.com، 2016/03/17. 10.53

[2] – مهند عبد الرحمن: الطريق على تحرر المرأة، ص 53.

[3] – المصدر السابق، ص 35.

[4] – مفيدة محمد إبراهيم: المراة العربية والفكر الحديث، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2000، ص 128.

-قد يكون السبب رفض الأسر تعليم أبنائهم وخاصة البنات، لأسباب اقتصادية واجتماعية أو لأنهم لا قائدة من ذلك.

" هناك من لا يرغبون بإدخال بناتهم المدرسة لظروف اقتصادية واجتماعية أو لكونهم لا يرون فائدة من ذلك... وعلى الدعاة إشغال أنفسهم بحق المرأة بالتعليم والتعلم والذي لم يكن هناك من يحول بينه وبينها ويسودون الصفحات ويملؤون قاعات الندوات في هذا المجال، وعليهم أن يهتموا بضرورة إلزامية التعليم للجميع، وحل كل المشكلات التي يبرر بها الأهل عدم إرسال بناتهم إلى المدارس، والتي هي في الغالب مشكلات اقتصادية واجتماعية ... وبذلك يقيدون المجتمع ككل برجاله ونسائه... بل هذا اللغو هو الذي لا يعمل إلا على تشتيت المجتمع وزرع الأحقاد بين عضوي المجتمع الرجل والمرأة".[1]

فللنظرة التقليدية لمعظم المجتمعات العربية التي كانت ترى في دخول الفتاة إلى المدارس للتعليم أمر بالغ الخطورة اعتقادا منهم بأن عفة وكرامة الفتاة ستتلطخ بعد دخولها المدرسة، "... سامية فتاة بلا أخلاق... إن سامية تريد فقط إتمام دراستها".[2]

حاولت " مليكة مقدم " في روايتها " الممنوعة" تجاوز هذه النظرة التقليدية حول منع تعليم المراة وتمردت على هذا الوضع من خلال تأكيدها بأن المرأة الحرة المتعلمة تختلف عن النساء القابعات في المنزل، لا يسهمن ولو بدور بسيط في تحريرهن من قيود المجتمع.

يعتبر تعليم المرأة من العناصر المهمة والأساسية التي تكسب من خلالها المرأة مكانتها في المجتمع لأنه نعمة على النساء، لأنه يزودهن بسلاح يواجهن به معركة الحياة، وهذا ما نجدة في قول إحدى نسوة القرية في مخاطبتها لرئيس البلدية " بكار":

" يتقدمن خطوة، يتراجع خطوتين، كان الغضب باد على وجوههن، فجأة شحب وأصيب بالخرس تحت طلقات ازدرائهن.

-واش حبيت اديرلها لسلطانة مجاهد؟.

-نشربلها المرار كيما يما المسكينة.

---

[1] - المصدر السابق، ص 37.

[2] - المصدر السابق ، ص 174.

–هي ما تقدرهاش، سلطانة امرأة حرة متعلمة".[1]

يوضح لنا هذا القول بأن نساء القرية أدركن أخيرا بأن المرأة المتعلمة امرأة حرة قادرة على مواجهة مختلف التحديات والصعوبات التي تواجهها في حياتها اليومية.

" فأبو النزعة الأنثوية الفرنسية الاشتراكي الفرنسي " فوربيه" فد دعا إلى تحرر المرأة على كل الأصعدة والمستويات: البيتي والمهني والمدني والتعليمي...".[2]

يؤكد لنا هذا القول ضرورة إدماج المرأة في شتى المجالات لتحقق بذلك ذاتها في المجتمع ولتساهم في تحريرها من القمع الممارس عليها من قبل الآخر، وهذا ما أكدته الجمعيات النسوية: " إن أهم مطالب الجمعيات النسوية التقليدية تتمحور حول طلب المساواة والعدالة في الثقافة والتعليم وفرض العمل والأجور".[3]

إن معظم الجمعيات النسوية في العالم تنادي بحق المرأة في التعليم يقينا منها بأنه العامل الرئيس الذي يضمن حرية ويقرر مصيرها.

" كما في كل مجال آخر، إن البنات اللواتي ينتمين إلى الطبقات الاجتماعية الأكثر يسرا والأكثر حرية هن اللواتي يجنين الفائدة الأكبر في التعليم... مادمن هن اللواتي يستطعن مواصلة الدراسة حتى الحصول على شهادات جامعية، هذا أمرا جديدا، فمنذ أمد غير قصير أتاحت البرجوازية العصرية لبناتها مواصلة الدراسة في المدارس والمعاهد أو الجامعات المحلية أو خارج البلاد".[4]

أنّ المرأة المنتمية للطبقات الاجتماعية الأكثر حرية وانفتاح، تتاح لهن أكبر عدد من فرص مزاولة التعليم،و بالتالي الحصول على شهادات جامعية عالية، وتكون بذلك سلاحا فعالا تواجه به مختلف تحديات المجتمع.

"– لديك أطفال؟

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 174.

[2] – محمد عمارة: تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ص 39.

[3] – شذى سليمان الدركزي: المراة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة، روائع مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص 59.

[4] – جوليت مدس: المرأة العربية في العالم العربي، ص 88.

-لدي بنتان كبيرتان في الجامعة، تدرسان جيدا أقول لهما، ابقيا في المدينة الكبير، حتى وإن كان الوضع صعبا، على الأقل هناك لا يعرفكما احد،الحياة هنا ليست حياة على الإطلاق، حتى لو تضرط....بطريقة معوجة، الأم وات أنفسهم يصلهم الخبر..، حين أريد رؤية بناتي، أخذ أمهن وأذهب إلى وهران، ثم عندي أيضا أربعة أطفال في الثانوية".[1]

يوضح لنا هذا الملفوظ أن وعي الأب بضرورة تعليمه لبناته، والسماح لهما بمواصلة الدراسة في الجامعة، سيكفل لهما مستقبلا ناجحا، ويتحررن بذلك من مختلف القيود والعراقيل التي فرضها المجتمع الذي تعيش فيه"عين النحلة" الذي يملك نظرة تقليدية حيث يرى من خلالها أن تعليم المرأة هو خروج عن السائد المعروف والتقاليد والعادات. "ليس أمام المرأة من أداة صالحة تصلها بدورها الجديد باعتبارها عاملا من عوامل التقدم والتنمية والتطور إلا التعليم فبواسطته تقوم باكتساب المعارف والعلوم والمهارات اللازمة للحياة الجديدة.[2]

يعتبر التعليم عند المرأة بمثابة جسر عبور يمكنها من الوصول إلى أهدافها وتحقيق حريتها وذلك عن طريق اكتسابها لمعارف وعلوم مختلفة تمكنها من مواجهة كل التحديات التي يفرضها المجتمع عليها. وهذا ما أكدته الرواية "ملكية مقدم" في روايتها الممنوعة.

المبحث الثاني: تمرد الذات على النسق الثقافي والاجتماعي:

1/تعريف التمرد:

لغة: مشتق من مادة "مرد" والمارد هو العاتي، ومرد على الشيء بالضم، يمرد مرودا ومرادة، فهو مارد ومريد، وتمرد، اقبل وعتا، وتأويل المردود، أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة التطاول بالكبر و المعاصي، ويقال تمرد علينا أي عتا وطغى وثار".[3]

1 – اصطلاحا: لقد ورد مفهوم التمرد في كتاب الكاتب" محمد يح يتن" أنه عبارة: "عن ذلك الصراع بين الإنسان وغموضه الذاتي، وهذا يعني أن التمرد هو المطالبة بنوع من الشفافية

[1] – المصدر السابق، ص 119.

[2] – بن زيان مليكة: عمل الزوجة وإنعكاسته على العلاقات الأسرية، دراسة ميدانية بجامعة منتوري، قسنطينة، رسالة ماجستير، اشرلف: الهاشمي لوكب، قسم على النفس، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004، ص 41.

[3] – ابن منظور: لسان العرب، مج 3، دار صادر، بيروت، 1994. ص 401.

المستحيلة، وهو حركة عاطفية فورية وسريعة تفتقر إلى الرؤية الواضحة السليمة والصحيحة، وغالبا ما تتوخى هذه الحركة بالقمع والعنف والاضطهاد".[1]

إن التمرد إذن هو ذلك الصراع الداخلي للفرد، وهو يشمل كل مطالب الفرد الذاتية، وهو حركة عاطفية، دائما ما تتصف بالعنف والقمع، لأن الآخر يرفض هذه المطالب. " التمرد هو تلك الحركة التي يثور لها الإنسان على حالته من أجل سلامة غاياته الخاصة".[2]

إن التمرد هو عبارة عن ثورة يقودها الإنسان بنفسه والتي من خلالها يمكن له أن يقرر مصيره وتسيير شؤون وأمور حياته كما يريد دون اللجوء إلى مساعدة أي أحد. وبالإضافة إلى هذا فالتمرد هو عبارة كذلك عن: " مظاهر الألم والموت والحزن في هذا الوجود، أي أنها عبارة عن صرخة ضد الأشياء التي من شانها أن تقف حائلا وحاجزا دون تحقيق الإنسان لسعادته وحريته... فالإنسان المتمرد هو الذي يقول لا دائما".[3]

يحيل مفهوم التمرد إلى معنى العصيان والرفض تجاه حالة معينة يعيشها الفرد في حياته اليومية، حيث تستثير غضب الإنسان التي يحياها أو يعني منها. فهذا الوضع هو الذي يدفع إلى تمرد الفرد. ليتخلص بذلك من كل مظاهر الألم والحزن التي يعيشها.

يصرح ألبير كامو في مطلع كتابه " الإنسان المتمرد"، حيث يعلن فيه عن كوجيتو جديد، يصرح من خلاله بأعلى صوت" نحن نتمرد، فنحن موجودون"، فالتمرد عند كامو نوعان: تمرد الإنسان على حاله من حيث هو إنسان، وهذا ما يسمى بالتمرد الميتافيزيقي...

أما التمرد الثاني فهو تمرد الإنسان على وضعه التاريخي، فهذا ما يسميه بالتمرد التاريخي، فالنوع الأول هو الذي ينبع منه الشعور بعدم الوجود، و قد يؤدي إلى إنكار القيم والأخلاق جميعا، أي إلى العدمية المطلقة، أما النوع الآخر فهو قد يتحول إلى ثورات جماعية،مثلما التي موجودة في العصر الحديث".[4]

---

[1] – محمد يحياتن: مفهوم التمرد عند ألبير كامو، وموقفه من الثورة التحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر. د.ط، 1984، ص 25.

[2] – المصدر السابق، ص 20.

[3] – محمد يحياتن: مفهوم التمرد عند ألبير كامو، وموقفه من الثورة التحريرية، ص 07.

[4] – جون كروكشانك: ألبير كامو وأدب التمرد، تر: جلال العشري، الهيئة العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1986، ص 18.

يبرز لنا هذا القول إن البيركامو قسم التمرد إلى نوعين: تمرد فردي و تمرد جماعي، فالأول يتعلق بالفرد وحده، أما الثاني فهو متعلق بتمرد الجماعات مثلما يحدث في الثورات التحريرية، " إن مشكلة التمرد من المشكلات النفسية والسلوكية والتي نلاحظ بشكل واضح في مرحلة المراهقة، ويعود ذلك لما تتصف هذه المرحلة من تغيرات فسيولوجية ونفسية وانفعالية، تؤثر في سلوك المراهق، كما تمتاز هذه المرحلة بزيادة الصراعات والتوترات النفسية والتي تكون شديدة الوطأة بحيث لم يعد لهم ثمة سبيل لمواجهتها فقد يشعرون بالغربة و الضياع فيتمردون على القيم والتقاليد وتتفشى بينهم أنماط سلوكية ونزعات عدوانية غير مقبولة".[1]

2/ أشكال التمرد في نص الممنوعة:

عانت المرأة من أوجاع التاريخ، ومن واقع اجتماعي مأساوي قاما بقهرها وقمع أنوثتها لفترات زمنية طويلة. فكان الوضع الذي عاشته المرأة أشبه بسجن أبدي لا يمكن مغادرته أبدا. فهذا الواقع الأليم والمرير كان سببا رئيسا في بروز عدة أقلام نسوية اتخذن من الكتابة سلاح لهن لصد ومواجهة هذا الوضع المهيمن والمسيطر عليهن من مختلف جوانب الحياة، وكما أعلنت في المقابل عن وجوب تمردهن على المجتمع الذكوري: " إن فعل الكتابة بحمل عدة دلالات نسوية مكثفة تناسب طبيعة الأنثى التي عانت طويلا من الصمت تحت طائلة التهميش والعنف والاستلاب والمعاناة، فالمرأة المبدعة تكتب للتعبير عن كينونتها وذاتها الأنثوية المجروحة... وكرد فعل على خفوت صوتها عبر العصور المختلفة التي وصفت النسوية بالخرساء بدعوى الأنوثة".[2]

يوضح لنا هذا الملفوظ إن التصميت الممارس على المرأة هو الذي دفعها إلى الكتابة وللتمرد بذلك على السلطة الاجتماعية وما تحمله من عادات وتقاليد جائرة في حق المرأة" فالرواية النسوية قد شاع فيها جو الانفتاح والحرية التي جاوزت حدود المألوف، وكأن الكاتبات أردن أن يعبرن عن مدى تحررهن وتمردهن بكتابتهن عن مواضيع الجنس والحب والتحرر من كل القيود الاجتماعية

[1] – محمد مجيد: "نصيب البيات، قياس التمرد عند الطلبة"، مجلة الثقافة، معهد إعداد المعلمين، المجلد 7، العدد 127، تكرين، 2011، ص 11.

[2] – حصنة جافور المنصوري: النسوية في شعر المرأة القطرية، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الرحمن بوعلي، قسم اللغة العربية، جامعة قطر، قطر، 2013، ص 162.

وقضاياهن الإنسانية ومعادلا موضوعيا للقضايا العامة مثل الحرب التي جاءت جنبا إلى جنب مع موضوعات الحب والعلاقات الإنسانية المختلفة".[1]

إن الكتابات النسوية بعدما كانت من قبل مراقبة من قبل الآخر، فلا يجوز للكاتبة الكلام في القضايا الحساسة مثلا: كالجنس والحب والسياسية، حاولت المرأة المبدعة تجاوز هذا الوضع الذي قيدها ومنعها عن التعبير عن خلجاتها النفسية: " فمارست فعل الكتابة والإبداع في مجتمع شديد الذكورة أمر بالغ الخطورة فهو اقتحام للمحظور وتحد سافر للسائد".[2]

فعلى الرغم من قوة وشدة المجتمع الذكوري الذي احتل المركز دائما مقابل المرأة التي وضعها في الهامش تمكنت المرأة المبدعة من تجاوز أو التمرد على هذا الوضع عن طريق ممارستها لفعل الكتابة بكل حرية.

وباعتبار أن الكتابة النسوية تكشف عن مختلف أشكال التمرد فما هي هذه الأشكال في نص الممنوعة؟ "إن الكتابة عند "مليكة مقدم" نابعة من ذاكرة مثقلة بالتمرد، والبحث عن الحرية، وهي تكتب دون خوف، تحت أي ضغط، متحدية الممنوع والمحظور في روايتها الممنوعة، فهذا ما يشير إليه العنوان من الرفض والمنع في أن تكون محظورة، وكونها تمردت على كل شيء دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا، فنصوصها دائما مشحونة بروح التمرد والرفض".[3]

-التمرد على المجتمع الأبوي:

لعل من أبرز أشكال التمرد يصادف تمرد المرأة على سلطة المجتمع الأبوي/ الذكوري" فلطالما أعطت أو منحت الثقافة الأبوية لخطاب الرجل، صفة القوة والعظمة، حيث يتسم بالوضوح والحزم ويركز على الجاد، ويعني بقضايا الحياة الهامة كالحرب والفروسية والسياسة، على عكس المرأة

[1] – المرجع نفسه، ص 12.

[2] – زواش رحمة: التمرد في السرد السيرذاتي النسائي العربي المعاصر، سيرة نوال السعداوي أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: زعتر خديدة، جامعة السانيا، وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2012، ص 39.

[3] – سمراء جبايلي: الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ص 56.

التي وصفت بأنها تركز على الانفعالات والعواطف والأحاديث الهشة عن الزواج مثلا والحب والأمومة والأطفال والتفاصيل اليومية التافهة كالمناوشات مثلا."[1]

يكشف لنا هذا القول إن الرجل لطالما احتل المركز في نظر المجتمعات على مرّ الأزمان والعصور على عكس المرأة التي احتلت الهامش، فهذه الرؤية جاءت كنتيجة لسيطرة النظام الأبوي. وهذا ما نجده في وطننا العربي:" أما في العالم العربي فقد بقيت وضعية المرأة بعيدة عن التحولات البنيوية التي حدثت خلال القرن العشرين، لأنها كانت محكومة بعلاقات اجتماعية متخلفة وأنظمة أبوية استبدادية وأعراف وتقاليد اجتماعية تقليدية راسخة، بالإضافة إلى عدم تقدم المجتمعات العربية علميا وتكنولوجيا، مما جعل المرأة تعاني أوضاعا اجتماعية واقتصادية وثقافية متخلفة أتاحت للرجل أن يتعامل معها بقمع وتسلط ضمن هذا الواقع التاريخي الاجتماعي الأبوي المتسلط".[2]

فهذا القمع والعنف والتهميش الممارس على المرأة العربية من قبل مجتمعها الذي سيطر وهيمن عليه النظام الأبوي لعقود زمنية طويلة، دفع بالنساء المبدعات خصوصا إلى التمرد عليه، وهذا ما نجده عند "مقدم" في روايتها الممنوعة، التي حاولت من خلالها إعلان تمردها بشكل مباشر وصريح جدا على سلطة النظام الأبوي الذي هيمن على قريتها "عين النخلة"، ويظهر ذلك في عدة مقاطع في الرواية:" ألهبني الغضب، وبحركة تخلصت من قبضة صالح.

– آسف، قال صالح.

وضعت يدي في جيوبي، ضغطت قبضتاي على القماش ودعك ثلة، أسرعت خطاي إلى أن التحقت بمقدمة الموكب الجنائزي، الرجال ورائي، وأنا المرأة الوحيدة أتقدمهم ، وجميعا نسير نحو المقبرة، كانت رشقات خفيفة بأحجار صغيرة تعترض طريقنا".[3]

نلاحظ من خلال هذا القول بأن البطلة "سلطانة مجاهد" رغم محاولة سكان القرية من منعها في الذهاب معهم في الموكب الجنائزي لياسين، إلا أنها رفضت الامتثال لأوامرهم ومطالبهم فهي

[1] – فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية، دراسة تطبيقية على روايات رجاء عالم، رسالة ماجستير. إشراف: أحمد حسين، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية، الرياض، ص 20.

[2] – إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص 37.

[3] – المصدر السابق، 23.

بهذا الفعل تعلن صراحة عن تمردها عليهم، ويظهر هذا أيضا جليا في قول صالح لها:" لن يسمحوا لك بحضور مراسيم الدفن، تعرفين بأن النساء لا يدخلن المقبرة لحظة الدفن.... سنرى جيدا من باستطاعته أن يمنعني من الدخول".[1]

إن سلطانة في هذا القول أكدت عن تمردها على الأعراف والتقاليد التي وضعها سكان القرية. "... تعرض هذه البنايات، المخربة قبل اكتمالها، شقوقها، نفاياتها، خواءها، وتولت إلى رموز لقبح وبلادة الأزمنة، ومعها اختفت حكمة القدماء وتوارى بصرهم تحت تكديس الشباب، داخل حريق يأسهم، لم أتعرف على أي وجه، ولكنني هل نظرت يوما الناس العاديين؟ وحدها وجوه الطغيان المختلفة تزيد عماي عنفا وغطرسة". تصرح سلطانة بأن كل مظاهر القرية المختلفة من بنايات مخربة، وبالإضافة إلى الرغبة في التمرد والغطرسة أكثر." تزيد عماي عنفا وغطرسة".[2]

حاولت الروائية "مليكة مقدم" على لسان بطلتها "سلطانة" التمرد على الواقع الأبوي المهيمن على المرأة الجزائرية في مختلف المجالات والميادين:" فالمرأة البدعة تعمد في سردها إلى الهدم والإجهاض والانقلاب و التمرد، كما ترى النسويات ذلك في مختلف أعمالها".[3]

يبين لنا هذا القول بأن الأدب النسوي يهدف إلى كسر نظام السلطة الأبوية القمعية، ويتحقق ذلك من خلال التمرد عليها:" خطابات أخرى، معاينات أخرى، أنصح، أوافق أو أطمئن، بعد مدة، لجأت إلى العيادة، مفزوعة من كل وهذه الفضائح، يطرحن تمردهن، مطالبهن، نار عيونهن، أمام الطبيب، ليست إلا كولشيت، ركام من آلام مجزأة إلى قطع، إلى كومات".[4]

إن نساء القرية بعد طول انتظار من القمع والظلم والعنف الذي تعرضت له من قبل المجتمع، قمن أخيرا بعرض مطالبهن وتمردهن على الطبيب. فسلطانة أ يضا وصل بها التمرد حتى إلى الأخلاق والقيم ويظهر هذا في العديد من مقاطع الرواية:" ولم تكن الذراعان اللتان تضمانني إلا ذراعي طفل، شعرت بانتصابه على بطني، اجتهدت لأتخلص منه.

-أكرهك من أجل هذا أيضا، قال بابتسامة متشنجة.

---

[1] – المصدرنفسه ، ص19.

[2] – المصدرالسابق ، ص 23.

[3] – فاطمة بنت الفيصل: السرديات النسوية، دراسة تطبيقية على روايات رجاء عالم، ص 62.

[4] – المصدر السابق، ص 178.

-التحقت بالصالون، سألني:

-هل تريدين قليلا من النبيذ؟

-عندي قارورة ويسكي في حقيبتي.

-الويسكي؟ ثراء المهاجرين

-ذهبت لإحضاره، أحضر صالح الكؤوس".[1]

إن سلطانة في اللحظة الأولى لقدومها لقريتها "عين النخلة" صرحت مباشرة بأنها ستواجه أهلها:" لدي إحساس فظيع بأن لقائي بهذه المنطقة سيتحول إلى مواجهة عنيفة، وأن ألف حنين يكون وقعها أخف بكثير من الواقع الجزائري".[2]

تعلن سلطانة بجرأة عن تحديدها لسكان قريتها، لتؤكد بذلك هن تمردها دون أي خوف، متحدية بذلك السلطة الأبوية:" إن تحدي قيود الثقافة الأبوية هو تحدي للمجتمع، وللذات، وبوابة للانقلاب من قيود الماضي".[3]

المبحث الثالث: التمرد على السنن المؤسساتي:

1 - التمرد على مؤسسة الزواج والحب:

إن الزواج هو أساس الأسرة وهو الركيزة الأساسية في بناء مجتمع سليم خالي من الأمراض الاجتماعية. فعلى الرغم من هذه الأهمية التي يؤديها الزواج، إلا أن الروائية الجزائرية :مليكة مقدم" تمردت على هذه المؤسسة المقدسة، ويظهر ذلك جليا في روايتها "الممنوعة" أين تمردت البطلة "سلطانة" على كل ما له علاقة بالزواج، فهي ترى فيه قيد يكبل حريتها من قبل الزوج، وهذا التمرد يظهر في إقامتها للعلاقات غير الشرعية مع عدة رجال:" أغلقت الباب، ياسين ممدود على السرير، رافقا رأسه ومرتكزا على مرفقيه، يبتسم لي... استولى علي ياسين بيديه، بفمه، بجسمه.

-سلطانة، سلطانة

-كان صالح منحنيا فوقي.

---

[1] - المصدرنفسه ، ص 51.

[2] - - المصدر السابق ، ص 16.

[3] - سمراء جبايلي: الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ص 55.

-ماذا جرى؟

-لو كنت أعرف أنّك ستنامين على الأرض لتركتك تنامين على الأريكة... هذا غير معقول؟

-مارست الحب مع ياسين هذه الليلة".[1]

إن سلطانة تمردت على الأخلاق، وذلك بإقامتها لعدة علاقات جنسية مع رجال غرباء، فلم تكترث لا لدين ولا لنظرة المجتمع لها.

والأمر نفسه نجده عند "سيمون دي بوفوار" التي اعتبرت "الزواج":"السجن الأبدي والدائم للمرأة، حيث يقوم بقطع وهدم كل آمالها وأحلامها، واعتبرت مؤسسة الزواج مؤسسة قهرية للمرأة يجب هدمها وإلغاؤها بكل الطرق المتاحة". [2] إن موضوع الزواج عند الكاتبة الوجودية "سيمون دي بوفوار" عبارة عن حاجز وعائق يعيق ويم نع المرأة من تحقيق أهدافها وأحلامها، فهي ترى ان الرجل بعد الزواج سيكبل حرية المرأة، وهذا الوضع نفسه نجده عند شخصية "سامية" التي رفضت الزواج الذي قررته ونظمته عائلتها:"...نعم، ثلاثة منهم لا ..لهم وليسوا إسلاميين ومع ذلك لا يحبونها.

-ولماذا؟ ماذا فعلت لهم أختك؟

-لا تجب الانصياع لأوامرهم، ورفضت أن تتزوج وجدوا لها أزواجا كثيرين، ولكنها دائما تقول لا، إنها الآن تتابع دراستها في فرنسا، بعد ذلك لا تريد أن تعود، لم تأت منذ...".[3]

نلاحظ من هذا الملفوظ بأن سامية ترفض أن تكون تابعة للرجل، فهي تمردت على عائلتها من أجل إثبات ذاتها كامرأة متعلمة ومسؤولة وحرة، ترفض بذلك أي شكل من أشكال العنف والقهر الممارس على الزوجة" العنف والتمييز دائرة مفرغة هذا يؤدي إلى ذاك، فالتمييز المستمد من مبدأ طاعة الزواج بفتح المجال أمام الزوج لاستخدام العنف" [4]

يبين هذا القول إن بعض مؤسسات الزواج يتخللها تمييز واضح بين الزوج وزوجته، فهذا ما سمح بشكل مباشر إلى ممارسة العنف والقمح والاضطهاد على الزوجة من ضرب وإهانة لفظية

---

[1] المصدر السابق، ص 56.

[2] – محمد عمارة: تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ص 40.

[3] – المصدر السابق، ص 35.

[4] – محمد عمارة: تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ص 48.

لهان فهذا ما نلمسه في مقطع من الرواية:"...أمي، نعم، أحيانا تبكي أمي وتخفي دموعها، حينما يرى أبي دموعها، يصرخ ويقول بأنه لا يريد أن يكلموه عن سامية... ولو تعود سيقتلها".[1]

3- التمرد على الثابت الديني:

هناك العديد من الكاتبات اللواتي صور ن تمرد بعض النسوة على القوائم الدينية وعلى جميع معتقداته، يقينا منهن بأن الدين عبارة عن حاجز وعائق يقوم بمنعهن من تحقيق كل أهدافهن المختلفة مثلما هو الحال عند الكاتبة " سيمون دي بوفوار" التي جعلت من الدين ومن الألوهة عدوا كبيرا للفلسفة الأنثوية، فالدين برأيها كان محايدا، عندما لم يكن للآلهة جنس، ثم تحول إلى عدة للمرأة بسبب التفسيرات الذكورية الدين.[2]

بالإضافة إلى هذه الكاتبة، الأمر نلاحظ في نص الممنوعة أن " مليكة مقدم" وعلى لسان الساردة حاولت هي الأخرى أن تتمردت على قيم الدين الإسلامي في مجتمع محافظ مثل مجتمعنا الجزائري، فلم تكترث للآلهة ولا للمجتمع، ومن أبرز المقاطع النصية الدالة على ذلك:"شيء ما يحاصر نومي، أفتح عيني، تقلبت على ظهري، وألقيت مبهورا ثقل الصمت، ولكن مباشرة انفجر نداء المؤذن من جديد ونسق سباتي، تدفق وعيي، وعي بالوجود فقط، حال من كل نفوذ مثل حالة اللاجاذبية.

واو، زووت! هذه ثلاث ليال متتالية يطاردني فيها المؤمنون.

وهران، عين الصفراء، مطار، ثلاث ليال جزائرية، وهذا الآذان الذي يبدو لي أنه يلبس دائما الصوت نفسه، النافذة مفتوحة على مصراعيها.... من المستحيل أن أهرب من هذا الصوت طويلا، يرتفع مثل تهديد انبثق من عصر لآخر يختنق رئتي".[3]

فقد تمردت "سلطانة" على الدين الإسلامي من خلال انزعاجها الشديد أثناء سماعها لصوت المؤذن فجرا، فهي تشبه هذا الصوت بتهديد قادم من عصر وزمن آخر.

وفي موقف آخر تقول الشاردة كذلك:"....أنا متأكدة بأنني سأتخلص من هذا الحصار.

---

[1] – المصدر السابق، ص 38.

[2] – محمد عمارة: تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ص 40.

[3] – المصدر السابق، ص 25.

يافلسنان البئيس، أفضل لك في المرة المقبلة أن تختار فندقا بعيدا نوعا ما عن أي مسجد، طبعا إذا كان ذلك ممكنا، بل تأكيد، سيكون الأمر أكثر فعالية!".[1]

ان تمرد سلطانة في هذا القول وصل بها إلى حد الاستهزاء والسخرية من المسجد متناسبة أنه مكان مقدس يجب احترامه، لقوله عز وجل:" وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد تدعوه مخلصين له الدين"(الآية 29 من سورة الأعراف). إضافة إلى هذا القول وصل تمرد سلطانة حتى إلى تشكيكها حول حقيقة وجود الجنة وجهنم.

– وأمك ماذا تقول؟

– أمي تقول دائما بأن الفقر هو المتسبب في كل هذا، تقول أيضا بأن الاستقلال ظالم، أحيانا تكون حزينة إلى درجة تقول بأن الله هو أيضا ظالم، حينما تقول هذا الكلام أمامهم يصرخ إخوتي الإسلاميون ويتشاجرون معها، يقولون بأنها ستذهب إلى جهنم؟

– لا! جهنم لا وجود لها".[2]

وكما وصل الأمر بسلطانة إلى وصف الجنة بعش من الديدان:" الأموات يبقون تحت الأرض، لا يذهبون إلى السماء لأصبحت السماء سوداء من الناس، أكثر مما يمكن أن تكون مع الجراد! حينما مات كلبي دفنه أبي بعد أسبوعين، ذهبت إلى القبر وحفرت، أردت أن أشاهد بنفسي، كان جسم كلبي مقبولا بالديدان، ديدان، ديدان لا تحصى! تنبعث منه رائحة كريهة .. مرضت بعد ذلك.... هذا هو الموت، الجنة هي عش من الديدان، فخ من التراب المتعفن وحياة الناس، الناس تسقط بداخلها".[3] تمردت السارد "سلطانة" على السنة النبوية من خلال انزعاجها من الأحاديث التي كانت تسمعها في المدرسة عن نساء وبنات الرسول صلى الله عليه وسلم.

– "ما هي هذه التهديدات التي تلقينها في المدرسة؟

[1] – المصدر السابق، ص 38.

[2] – المصدر نفسه ، ص 38.

[3] – نفسه، ص 71.

– حماقات الأحاديث التي تريدنا أن نعيش مثلما كانت تعيش نساء وبنات الرسول محمد، كم عرفنا من محمد منذ الرسول وإذا رفضت الانصياع إلى هذه التعليمات يعدونك بنار جهنم."[1]

أعلنت سلطانة تمردها على سيد الخلق محمد (ص) متناسية الأهمية والدور العظيم الذي قدمه للبشرية جمعاء " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله وذكر الله كثيرا" (الآية 21 من سورة الأحزاب). فالله عز وجل في هذه الآية الكريمة يبين أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الأسوة الحسنة التي ينبغي للأمة جمعاء أن تتأسى به في كل شيء.

والملاحظ كذلك تمرد البطلة على النص المقدس حينما قالت:"

"تذمرت من آيات الله المسيطرين على المستشفى، إنني احترس من التعميم، ولكن حينما يتعاملون مع المسعفين، يتحول بعضهم إلى أصوليين، متعالين ومحتقرين".[2]

تذمرت سلطانة من الذين يتخذون آيات الله كوسيلة لتبرير أفعالهم الحقيرة، وكما نلمس أيضا في الرواية تمرد على الحجاب ويظهر ذلك في :" ...لا شيء يبشر بالخير، اكتسى وجه الدزاير لون وجه اليتامى، متسخا وحزينا، يتزايد الملتحون بكثرة عجيبة، تتحول النساء إلى غربان أو إن شئت إلى الراهبات... تحولت الدزاير إلى مستشفى مجانين ضخمة. ونفس الأمر نجده في مقطع آخر:" شوط اندفاع الإسلاميين المسموم، ويتأجج بؤبؤ عيونهن مثل القبس ويرذلن الجبن والتقليد القردي المعاناة الحجاب حديثا وتخدش المرارة كل قسمات الوجه"[3]

إن هذا القول يظهر تمرد ورفض مباشر للحجاب فقد شبهته الكاتبة بالتقليد القردي، متناسية قوله عز وجل:" وقل المؤمنات يغضون من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (الآية 31 من سورة النور).

– التمرد على ظاهرة التحرش الجنسي في المؤسسات العامة:

[1] – المصدر السابق، ص 94.

[2] – المصدر نفسه، ص 79.

[3] – نفسه، ص 142.

أصبح التحرش الجنسي بالمرأة في بيئات العمل والأماكن العامة ظاهرة خطيرة، "لن يتم القضاء عليها ما لم يوجد نظام صارم لا يستثني أحدا، وتستند قواعده من الشريعة الإسلامية، وقوانين العمل المعلقة، على الرغم من أن ذلك النظام تأخر أكثر مما يجب في وقت تسابق المرأة نفسها للمشاركة في برنامج تنمية الوطن والبحث عن فرص العمل"[1]

تتعرض المرأة للتحرش الجنسي بمختلف أشكاله في الشارع أو مكان عملها، ولهذا وجب النظر في هذه المسألة الخطيرة، فالتحرش الجنسي حاضر في رواية الممنوعة التي جاءت كمرآة عاكسة لمجتمع انتشرت فيه ظواهر سلبية عديدة:" صاح أحد الأطفال:قحبة! ارتفعت (قحبة) أكثر من صورة الشارع المؤسفة، أكثر من رؤية الصحراء فإن هذه الكلمة تغرس الجزائر في نفسي مثل خنجر، قحبة، كم مرة أثناء فترة المراهقة، وأنا مازلت عذراء، ولكنني جريحة، تلقيت هذه الكلمة كقيء على براءتي قحبة"[2]

تعرضت سلطانة إلى الاهانة والشتم اللفظي خارج المنزل، فحاولت بذلك التمرد على الوضع الأليم الذي كان الآخر سببا له. " حين هزني صرير عجلات مخيف، فرمل علي مرباح مثل مجنون على خطوتين.

تلعبيها ماتعرفينيش، وترقدي مع القبايلي والرومي! وأنت صغيرة.... إيجي نهارك يا الكلبة!

قطرات القيح نفسها في زوايا عينيه، السترة نفسها مشققة في الظهر، الحقد نفسه يعصر وجهه ويعذب معرته، وأنا نفسها أيضا، سلطانة دائما متقدمة أو متأخرة، أبدا في الوقت المحدد، أبدا مستعدة ل المسوط.... انطلق علي مرباح ثانية ....بقيت واجمة، خنجر الشتيمة يغرس في قلبي.[3]

يبرز لنا هذا الملفوظ أن المرأة تعاني بشدة من آلام الشتم والذم اللذان سببهما الآخر لها في أغلب الأحيان، وبالإضافة إلى هذا نجد أيضا" ميليت" التي تمردت هي الأخرى على "ميلير" الذي لقب الأنثى بأقبح الصفات:" إن ميلير له عقل مشوه ومريض...خاصة عند تشبيه الأنثى بعاهرة"[1]

---

[1] – مريم الجبار: عمل المرأة، " نظام التحرش الجنسي"، جريدة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، عدد 16305، 2013. ص 75.

[2] – المصدر السابق، ص 12.

[3] – المصدر نفسه، ص 126.

الأنثى على مر العصور والأزمنة كانت ضحية الآخر/ الرجل المجتمع الذي همشها ولقبها بأنذل وأقبح المعوقات، عكس الرجل الذي لقب المثالية والنزاهة والأخلاق الرفيعة.

"أصبت بقرف من الجزائر منذ زمن بعيد، الآن يخفق قلبي من جديد... لكن لقب أثر الن خر مائلا.[2] وصفت سلطانة الجزائر المشوهة والمعوقة والمتخلفة والمقرفة، فهي ترفض الواقع الجزائري في تلك الفترة الزمنية، فهذا ما دفعها إلى التحالف مع نسوة قريتها للتعبير عن مطالبهم واسترجاع حقوقهن المسلوبة منهن من قبل الآخر. وكذلك المطالبة بتغيير وضعهن البائس من خلال تنظيمهن لمظاهرات :" عند مغادرتنا المستشفى في منتصف النهار، شكلنا وفدا حقيقيا، لا تنقصنا إلا اللافتات والأعلام، والشعارات أدق في الرؤوس، أغلق خالد وثلاثة رجال أقوياء المسيرة".[3]

5_ التمرد على الثابت السياسي:

عمل الرجل في معظم الأحيان إلى تهميش وإنكار دور المرأة واقصائها من حقها في المشاركة في مختلف مجالات الحياة، خاصة السياسي منها، خوفا منه بأن تملك بذلك سلطة سياسية عليه، لكن المرأة في المقابل رفضت هذا التمييز الذي لحق بها من قبل الآخر، فحاولت تجاوزه بشتى الطرق والوسائل الممكنة، فاكدت بذلك عن تمردها على هذا الوضع المهين، مثلما هو الحال عند البطلة "سلطانة" التي تمردت على سلطة رئيس البلدية"بكار" وعلى زميله "علي مرباح" :"انا رئيس البلدية، قال برضى مفرط، أنظر إليه، وأجد صعوبة لاحافظ على جديتي، فتشت عيناي داخل الصالون، تشبثت بزجاجة الويسكي وبالكاسين الباقيتين فوق الطاولة... حلوة عنقه، أعوج قليلا في محاولة منه لرؤية ما يوجد داخل الغرفة.

- ماذا تريد؟
- أنا المدير!
- اصرخ (أنا المدير!) مثل (استعد!)
- قهقهت بصراحة

---

[1] – ماجي هام: النقد النسوي المعاصر، ص 43.

[2] – المصدر السابق،84.

[3] – المصدر نفسه، 179.

-ماذا تريد؟

- لا أريد مثل هذه الأشياء هنا! هذا يكن وظيفي وليس ماحورا!

-ماذا تريد؟

-من أنت؟

-صديقة الدكتور ياسين مزيان

-أريني أوراقك وشهادتك...لن أظهر لك شيئا".[1]

نلاحظ من خلال هذا القول أن سلطانة حاولت كسر حاجز القوة والسيطرة الذي كان قائما بينها وبين رئيس البلدية الذي كان يتمتع بسلطة سياسية إلا أنها تمردت على هذا.

فوعي سلطانة ونساء القرية بضرورة خروجهن من النظام الاستبدادي الذي فرضه عليهن رئيس البلدية، "بكار" كان سببا رئيسيا لتنظيمهن لهذه المظاهرات، :" تجمهر رهط كبير من الرجال بمدخل المستشفى، امسكني من بدي عليلو ....أشد يده بقوة.

-طلبة! صرخ صوت اخاله علي مرباح

-أغلق فمك يا عطاي! تعالى صوت آخر

-لستم إلا مكبوتين في رؤوسكم وسراويلكم".

-لستم إلا مكبوتين في رؤوسكم وسراويلكم!".[2]

تعلم سلطانة في هذا القول عن تمردها بشكل مباشر على رئيس البلدية، وكرد فعل لهذا قام هذا الأخير بحرق منزل الطبيب ياسين الذي كانت تقيم فيه سلطانة، إلا أن نساء القرية ابدين غضبهن على هذا الفعل الشنيع الذي ارتكبه "بكار فقمن هن بدورهن كذلك بحرق مقر البلدية :" لا تبقوا هنا، الوضع خطير، لقد أحرق مرباح وجماعته منزل الطبيب والنساء بعد أن أخبرهن الأطفال حدث، أحرقت بدورهن مقر البلدية ....خالد ستسافر غدا قل للنساء بأنني أتضامن معهن وأنا بعيدة".[3]

---

[1] – المصدر السابق، ص60 .

[2] – المصدر نفسه، 173.

[3] – المصدر السابق، 190، 191.

يبرز هذا الفعل لنا جليا تمرد نساء القرية على السلطة السياسية لكبار.

رفضت البطلة سلطانة هذا الواقع الذي وصفه النظرية الدونية والانحطاطية، فحاولت مواجهة ذلك، وفي المقابل التمرد عليه، وهذا ما يؤكده حوارها مع سائق الطاكسي الذي تعرض في النهاية الصمت:" لم أنتبه إلى أن السيارة قد توقفت، تغلب رذاذ الكلمات على الرجات الأخيرة للانفعال.

.... كم ثمن الرحلة؟

هذه المرة السائق هو الذي التزم الصمت، أخرجت ورقة نقدية ثالثة، خطفها مني وأسرع في الابتعاد، ثلاثة مائة دينارا إنه ثمن مرتفع جدا، ربما يكون ثمن سوء معاملتي معه؟[1]

في الأخير نقول فكل مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية دفعت بسلطانة إلى التمرد بشكل من الأشكال.

[1] – المصدر نفسه، ص.16.

خاتمة:

يندرج هذا الموضوع الموسوم ب. "خطاب التمرد في رواية الممنوعة للروائية الجزائرية "مليكة مقدم" ضمن الموضوعات التي عالجت مختلف قضايا المرأة اجتماعيا، سياسيا، ثقافيا، في مجتمع أبوي، ذكوري، تحكمه عادات وتقاليد والعرف والدين، حيث احتل الرجل فيه المركز عكس المرأة التي همشت من تأدية دورها الفعال كعضو في المجتمع.

-دعت الكاتبة في روايتها إلى كسر قيود العادات والتقاليد التي تقف عائقا وحاجزا أمام حريتها.

-دعت الكاتبة إلى ضرورة تعليم وعمل المرأة، لأنهما عنصرين أساسيان يكفلان للمرأة إثبات ذاتها في شتى ميادين الحياة.

-دافعت الكاتبة عن كينونتها الإبداعية، فهي صرخة مجروحة معلنة بذلك عن حزنها وغضبها في آن واحد ومتعددة بالقمع والقهر والتسلط الذي تتلاقاه من الآخر.

-حاولت الكاتبة تعرية وفضح كل الممارسات اللاأخلاقية ضد المرأة التي انتشرت على كافة الأصعدة والمستويات.

-إعلان الكاتبة عن تمرد ها المباشر ضد الآخر وعلى الأعراف والدين والتقاليد والعادات البالية.

-تحدي الكاتبة سلطة الرجل القمعية والسخرية داخل المجتمع الذكوري.

-تسعى المرأة المبدعة من خلال كتابتها سواء في الشعر أو القصة أو الرواية إلى كسر تبعية المرأة الرجل. وكذلك كسر حاجز الصمت الممارس عليها، في ظل المجتمع الأبوي الذي يشوبه الارتباك.

-تعتبر رواية الممنوعة ذات بعد اجتماعي ثقافي سياسي إذ أنها تعكس صورة الواقع الجزائري بشكل صريح ومباشر.

-حاولت "مليكة مقدم"تعرية وفضح مختلف أشكال التحرش الجنسي الذي مورس على المرأة.

-تجاوزت "مليكة مقدم" حدود الواقع والدخول في طابوهات المحضورة (الزاوج والحب).

-أرادت "مليكة مقدم" من خلال تمردها على الثابت السياسي إعلانها المباشر على التحرر من قيود السياسة.

أ/ التعريف بالكاتبة:

ولدت مليكة مقدم في 5 أكتوبر 1949 في القنادسة ولاية بشار الجزائر، درست طب الكلى في جامعة وهران ، ثم انتقلت إلى فرنسا سنة 1977، واستقرت بها نهائيا سنة 1979، وتوقفت مليكة عن ممارسة وظيفتها كطبيبة سنة 1985، للتفرغ للكتابة التي وجدت بها منفذا، متنفسا للتعبير عن كل ما يؤجج بداخلها.

أعمالها الروائية:

- " الرجال الذين يمشون (les hommes qui marchent) في سنة 1990،.
- قرن الجراد (les siècle des sauterelles) في عام 1992.
- "الممنوعة " (l'interdite) عام 1993.
- "أحلام وقتلة (rêves et assassinat) في 1995.
- " ليلى والحرباء" (la nuit de la lézarde) في عام 1998.
- " نزيد " (n'zid) في 2001.
- "رجالي " (mes hommes)سنة 2005.
- "الراغبة "(la désirante) في 2011.
- " أدين بكل شيء لنسيانك " (je doit tout a ton oublie) سنة 2012.

الجوائز التحصل عليها:

- جائزة الأكاديمية بيتر Littré 1991 عن رواية رجال الذين يمشون.
- جائزة إفريقيا المتوسط عن قرن الجراد 1992.
- جائزة المتوسط عن رواية الممنوعة 1193.

ب/ ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول شابة جزائرية الملقبة باسم " سلطان ة مجاهد" وهي طبيبة غادرت مسقط رأسها " عين النخلة" متوجهة إلى مونبوليه في فرنسا منذ خمس عشرة سنة حاملة في نفسها فكرة اللارجوع واللاعودة إلى قريتها، وهذا الشعور جاء نتيجة المعاناة وقسوة الحياة التي عاشتها في الماضي، ففترة مراهقتها كانت تتسم بالتمرد، فقد كان عليها أن تتحدى عائلتها ومجتمعها يقينا منها بأن حريتها كامرأة ستتحقق في بلد آخر يكون أكثر انفتاحا وحرية من بلدها الأم، وبعد مرور خمس عشرة سنة من الغياب وفي لحظة غامضة من الزمن يتحرك في نفسها شيء من الشوق والحنين إلى الماضي. حيث تذكرت سلطانة زميل قديم لها يدعى ياسين الذي تعرفت عليه في أيام الجامعة، فيحن قلبها له فتقرر الاتصال به، وعندما تسال عنه في مكان عمله تتلقى خبر وفاته، وتصدم بهذا الخبر، فموته يحي ذاكرة سلطانة ويعيدها من منفاها البعيد إلى قريتها " عين النخلة" حاملة معها سنين المعاناة والألم التي مرت بها في الماضي من موت أمها وإخلاء منزلها العائلي من قبل خالها، وسوء معاملة ناس القرية لها.

فمنذ لحظة وصول سلطانة إلى مسقط رأسها في " عين النخلة" تبدأ مواجهتها مع سكان قريتها، فأول مواجهة كانت مع سائق السيارة الذي لا يمل من التحديق فيها باحتقار وازدراء، وبعد ذلك تبدأ المواجهة الثانية مع الأطفال الذين يعيرونها ويشتمونها بلقب العاهرة.

فلم تتمالك سلطانة الانتظار أكثر فقررت الذهاب لرؤية ياسين في المستشفى للتعرف عليه في قسم حفظ الجثث، أين تعرفت على صالح وهو صديق ياسين، وبعد هذا اللقاء تأتي مواجهة سلطانة ضد حاكم القرية السيد بكار، وتابعه علي مرباح من حزب الإسلاميين حيث يرفضان أن تسير معهم في الموكب الجنائزي لياسين، لكنها ترفض الامتثال لأوامرهم.

تقرر سلطانة الاستقرار في " عين النخلة " وتحل محل ياسين في العيادة الطبية، رغم رفض واحتجاج بكار لها، حيث يقوم هذا الأخير بشن حرب دعائية كلامية تتضمن إشاعات تهديدات ضد سلطانة في قريتها، فقد كان هدفه تشويه سمعتها وإبعادها من جديد عن قريتها وفي المقابل تنحيتها عن منصبها في العمل كطبيبة، لكن سلطانة قاومت كل هذا ورفضت أن تكون لعبة في يد بكار يحركها كما يشاء، أو بالأحرى أن تكون ممنوعة في قريتها، ممنوعة في بيئتها، فمعرفة

صالح بمدى خبث بكار دفعه هذا بنصح سلطانة بمغادرة القرية لكي تضمن سلامتها، ولكنها رفضت.

وأثناء عمل سلطانة في المستشفى يأتي "فانسان" الفرنسي للقيام بفحص طبي عاد، أين يتعرف هذا الأخير على الطبيبة سلطانة، فيحدث العشق من النظرة الأولى وبعد هذا تتكرر لقاءات بينهما، ولكن سلطانة تبقى مسكونة شبح ياسين الذي جاءت من أجله، حيث تستحضر روحه فيها كما أنه لا يزال على قيد الحياة، أين تقوم بشرب الخمر والخروج ليلا والعودة في ساعات متأخرة، فلم تأ بى لحديث سكان القرية عليها، وكما أعلنت تمردها على الدين والعادات والتقاليد.

أرادت سلطانة من خلال عملها كطبيبة إثبات نفسها كامرأة حرة متعلمة، ترفض أن تكون تابعة للرجل، وفي المقابل حاولت أن تكون نموذجا لنساء القرية اللواتي لا طالما كنّ قابعات في الهام ش تحت سيطرة وجبروت الرجل، فهذا التهميش كان الدافع الأول للقاء سلطانة في المستشفى من طرف النسوة، حيث قامت كل واحدة منهن بسرد معاناتها التي سببها لها الرجل، وبعد هذا اللقاء وأثناء مغادرتهن المستشفى شكلن وفدا حقيقيا حيث استقبلتهم زينب زوجة خالد بقصعات الكسكسي تحت أصوات النسوة التي كانت مليئة بالألم والبؤس والمعاناة، وبعد تلقي بكار لهذا الحدث الذي نظمته سلطانة رفقة نسوة القرية قام بحرق بيت ياسين وكرّد فعل لهذا العمل الشنيع قمن نسوة القرية بدورهن بحرق مقر البلدية.

وفي لحظة من الزمن خافت سلطانة على حياتها فقررت الابتعاد والرحيل مجددا عن قريتها، لكنها تركت رسالة أمل عند خالد مفادها بأنها ستتضامن مع نساء القرية حتى وإن كانت بعيدة.

قائمة المصادر المراجع:

القرآن الكريم:

I. المصادر:

1. مقدم مليكة: الممنوعة (رواية)، تر: محمد ساري، دار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008.

II. المعاجم:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مج3، بيروت، 1994.

III. الكتب والدراسات:

1. الحيدري إبراهيم: النظام وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي للنشر، المغرب، ط 1، 2003.

2. أبو زيد نصر حامد: دوائر الخوف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2000.

3. أبو غزالة هيفاء: المرأة العربية والديمقراطية، مصر الجديدة، مصر، ط1، 2014.

4. بن السايح الأخضر ، سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011.

5. بورديو بيار: الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

6. بورسيل جرمين، المرأة في الحياة المهنية، من أجل تكافئ الفرص بين الجنسين، مؤسسة الخدمات الطباعية، درغام، لبنان، د.ط، 1984.

7. تبرماسين عبد الرحمن وآخرون: السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، د.ت.

8. الدركزي شذى سليمان: المراة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة، روائع مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1998.

9. دي بوفوار سيمون: الجنس الآخر، تر: مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، القاهرة، مصر، ط4، 1996.

10. السيد زكي علي: عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 2007.

11. شرابي هشام: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، تر: محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1990.

12. صنع الله إبراهيم: التجربة الأنثوية، دار الثقافة الجديدة، اتحاد كتاب دولة الإمارات العربية المتحدة، القاهرة، مصر، ط1، 1993.

13. الطالعي رفيعة ، الحب والجسد والحرية، في النص الروائي النسوي في الخليج، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2005.

14. طرابيشي جورج: شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، ط1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1997.

15. عزيزي وفيق: الجنس في أدب غادة السمان، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2000.

16. عساسي فوزية: الخطاب حول المرأة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط1، 1997.

17. الغذامي عبد الله: الخطيئة والتفكير، دار سعاد الصباح للنشر، القاهرة، ط2، 1993.

18. الغذامي عبد الله : المرأة واللغة، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000.

19. قرامي أمال: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، 2007.

20. قطب سيد وآخرون: في أدب المرأة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، مصر، ط1، 2000.

21. قطب سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1982.

22. كروكشانك جون: ألبير كامو وأدب التمرد، تر: جلال العشري، الهيئة العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1986.

23. مظهر إسماعيل: المرأة في عصر الديمقراطية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1948.

24. مفيدة إبراهيم محمد: المرأة العربية والفكر الحديث، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

25. مهيدات نهال ، الآخر في رواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

26. هام ماجي: النقد النسوي المعاصر، تر: حسن ازريزي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحدمية، المغرب، د.ط، 2015.

27. يحياتن محمد: مفهوم التمرد عند ألبير كامو، وموقفه من الثورة التحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر. د.ط، 1984.

IV. المجلات والدوريات:

1. الزحراوي هيام: أهمية تعليم المرأة، جريدة الدستور، العدد 176، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، الأردن، 2012.

1. ايدير عائشة: انطولوجية الرواية النسائية المكتوبة باللغة الفرنسية، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية (أعمال الملتقى الوطني (PNR)الرواية النسائية في الجزائر، النشأة وأسئلة الكتابة)، إشراف: نورة بعيو، يومي 20. 28/ 05/ 2013، تيزي وزو.

2. الجبار مريم: عمل المرأة، " نظام التحرش الجنسي"، جريدة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، عدد 16305، 2013.

3. الحيدي نبيل: حرية المرأة وتحريرها فكريا وعمليا، جريدة ايلاف، العدد 4582، إيلاف للنشر المحدودة، 2013. ليناء عبد الرحمان عبيد: تحولات الذات الأنثوية وتنوع المستويات السردية في رواية دارية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، ملحق 2، 2014

2. خلف حنان: المرأة العربية بين سياسات الدمج والاختلاف، مجلة ذوات، العدد 03، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، 2015.

4. شعبان منير ، المنظور الايديولوجي في الرواية النسوية، أعمال الملتقى الوطني الرواية النسائية في الجزائر، إشراف: نورة بعيو، منشورات تحليل الخطاب، تيزي وزو، 2013.

5. شلبي مجدي: حق المرأة في العمل، جريدة الرياض، العدد 14431، سعودية، 2007.

6. عدوني عصام: العنف والتمييز ضد المرأة في المغرب، مقاربة سيسيولوجية.

7. مجيد محمد: نصيب البيات، قياس التمرد عند الطلبة، مجلة الثقافة، المجلد 7، العدد 127، معهد إعداد المعلمين، تكرين، 2011.

8. محمود خالد وليد: المرأة العربية والعمل السياسي، جريدة الوسط، مشروع منبر الحرية، العدد 2694، الأردن.

9. مسالي ليندة: الرواية النسوية الجزائرية وخلفيات التشكل، أعمال الملتقى الوطني (PNR)الرواية النسائية في الجزائر، النشأة وأسئلة الكتابة.

10.موهوب أمال: صوت المرأة في زمن الصمت، فاطمة المرنيسي أنموذجا، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، قسم الآداب والفلسفة، جامعة الجزائر.

V. الرسائل و المذكرات الجامعية:

رسائل الدكتوراه:

1. داودي سامية: صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، أطروحة الدكتوراه، إشراف: بوجمعة شتوان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

2. سليمة حمودة: التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدركها الأبناء في الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر، بسكرة، أطروحة دكتوراه، إشراف: جابر نعر الدين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014.

رسائل الماجستير:

3. الكحلون أمال حمدي شحادة: دراسة مقارنة للتوافق النفسي والاجتماعي لدى العاملات في المؤسسات الخاصة في مدينة غزة، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011.

4. بن راشد الزهراني ندى بنت عطية: مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي، دراسة نقدية، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الله بن محمد العمرو، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، السعودية، 2007.

5. بن زيان مليكة: عمل الزوجة وإنعكاس اته على العلاقات الأسرية، دراسة ميدانية بجامعة منتوري، قسنطينة، رسالة ماجستير، إشراف: الهاشمي لوكب، قسم على النفس، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004.

6. جبايلي سمراء: الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، "رواية السيرة الذاتية لمليكة مقدم أنموذجا"، مذكرة ماجستير، إشراف: معمر حجيح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

7. الجبرين آمينة بن عبد الرحمن: المقالة النسائية السعودية، رسالة ماجستير، إشراف: صالح زياد الغامدي، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، السعودية، 2000.

8. حامي خديجة ، السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل روايات فضيلة الفاروق أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013.

9. دودو نعيمة: تأثير عمل المرأة على معدلات الخصوبة، دراسة ميدانية بجامعة فرحات عباس، سطيف، مذكرة ماجستير، إشراف: حفاظ طاهر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2010.

10.رحمة زواش: التمرد في السرد السيرذاتي النسائي العربي المعاصر، سيرة نوال السعداوي أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: زعتر خديدة، جامعة السانيا، وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2012.

11.المنصوري خصنة جافور: النسوية في شعر المرأة القطرية، إشراف: عبد الرحمن بوعلي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة قطر، 2014.

VI. المواقع الالكترونية:

على الموقع: طلال مشعل: ما هو دور المرأة في المجتمع، http://mowdoo3.com، 2015/02/24. 9.15.

على الموقع: نعمان عبد الغني، مكانة المرأة الإنسان في المجتمع العربي، http : // www.ettwhed.com، 2016/03/17. 10.53

فهرس الموضوعات:

الإهداء

كلمة الشكر

المقدمة.....ص06

المدخل.....ص10

الفصل الأول: تشكيل الخطاب الأنثوي.

المبحث الأول: خطاب الذات. ص15

المبحث الثاني: إثبات الذات. ص23

المبحث الثالث: مواجهة الهيمنة الذكورية:.....ص28

الفصل الثاني:خطاب التحرر.

المبحث الأول: سبل تحرر المرأة من الهيمنة الذكورية. ص47

المبحث الثاني: تمرد الذات على النسق الثقافي والاجتماعي:.....ص60

المبحث الثالث: التمرد على السنن المؤسساتي.....ص 66

خاتمة.....ص75

ملحق.....ص78

قائمة المصادر والمراجع.....ص82

فهرس الموضوعات.